سبيلُ الله

"قُل هذه سبيلي أدعو إلى الله
على بصيرةٍ أنا ومَنِ اتَّبعني"
صدق الله العظيم

النَّبيُّ :

لا كَذِب !

بقلم : الدكتور
محمد فؤاد الهاشمي
دكتوراه في فلسفة الأديان

HTTP://KOTOB.HAS.IT

HTTP://KOTOB.HAS.IT

سبيل الله

"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله
على بصيرة أنا ومن اتبعني"
صدق الله العظيم

النبي :

لا كذب !

بقلم : الدكتور
محمد فؤاد الهاشمي
دكتوراه في فلسفة الأديان

مطبعة الكيلاني
المدير المسئول : رشاد كامل كيلاني
٢٢ شارع غيط العدة باب الخلق
ت ٩١٨٥٩٨ ـ القاهرة

HTTP://KOTOB.HAS.IT

بسم الله الرحمن الرحيم

من آياتِ التَّنْزِيلِ وَقَبَسِ النُّبُوَّةِ

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(صدق الله العظيم)

« أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ . أَنَا أبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ . »

(حديث شريف)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

SRLE
URL
BP
166.5
H37
1980

الإهداءُ

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،

الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ،

وهداهم إلى صراط العزيز الحميد !..

إلى من انكشفت له الأسرار ، وأحاطت به الأنوار ،

وتنزّلت عليه العلوم والحقائق ، فما ينطق عن الهوى !..

إلى من أوحى إليه بسعادة البشر ، فكان رحمة الله المهداة !..

إلى من صلّى اللهُ عليه ، وأمر الملائكة بالصلاة عليه ،

وفرض على المؤمنين أن يُصَلوا عليه ويسلِّموا تسليما :

أهدى هذا الجهد المتواضع

داعيا الله أن يلهمنا دائما الرشاد والسداد .

اللهمّ صلّ على مُصْطَفاك صلاة تتقبل بها عملى هذا ، وأن تجعله رشدًا لى وللقراء الذين يحبون أن يستضيئوا بنور خاتم النبيين ، وإمام المرسلين . عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وبالله التوفيق .

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمى

HTTP://KOTOB.HAS.IT

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لكتاب : (النبيّ لا كذب)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونصلى ونسلم على رسول الله : محمد عليه الصلاة والسلام ، الذى بعثه رب الناس بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله .

وبعد : فما أشبه الليلة بالبارحة ! فى الماضى وفى عهد ترجمة الثقافات الفارسية والإغريقية إلى اللغة العربية ، دخل بعض الناس فى الإسلام يَلْوُون بالقرآن ألسنتهم ، ويُلْوُون عنه رءوسهم ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ! وإذا انفردوا أو اندسّوا فى أشباههم عادوا كما كانوا ، وصبئوا عما أعلنوا من إسلام ! هؤلاء الذين أعلنوا الإسلام ثم حاربوه فكان منهم وضّاعو الأحاديث المنسوبة زوراً وبهتاناً لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يُضلون بها أنفسهم ، ويضللون بها المسلمين عن دينهم الصافى النقى .

صُوَرٌ متكررة من أعداء الله : أعداء الإسلام منذ عصر النبوة ، ولا يزالون يَلبسون ثوب كل زمان : يدسّون السّمّ فى الدّسَم ، يجتذبون الأنظار والأفكار ، بالعناوين الجاذبة ؛ فهم يعلمون أن

HTTP://KOTOB.HAS.IT

القرآن كتاب الإسلام وحُجّته ، ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وإذ كان هذا مكانه ومكانته ، فإن الدخول من هذا الباب وبفتح هذا الكتاب ، ضمين بقراءة ما يكتبون ، وضنين بالإعراض عما يتقوّلون ، لأنه ليس كل قارئ صيرفيًا ، تنقاد فى يده الدراهم النقية وتنحاز عنه زُيوفها . إن علم القرآن لا ينفد ، لأنه كلمات الله ، فأى إنسان كاتب يقول : « هذه دراسة للقرآن » تنفد بضاعته ، ولكنها لا تسلم من نقد الصيرفى الألمعى ، ذى البصيرة ، التى تفتحت بالقرآن ، واستنارت بنور الرحمن ، وانغرس فيها الإيمان .

نعم ! ما أشبه الليلة بالبارحة ، فإن الحرب ضد الإسلام تتخذ صوراً وأشكالا متعددة .

نعم . لقد عرض كتاب : (النَّبِىُّ لا كَذِب) اعترافات صادقة لبعض أولئك الذين درسوا سيرة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام فاستنبئوها خَبَرَه وأثره وأمره ، فقالوا مقالة صدق ، فاهت بها الشِّفاه سطوراً منشورة ، لا خُيوط دُخَان نفثها حَدّادٌ من كِيرِه فأطلت على رأسه ، فأعمت بصره وبصيرته ، وذهب بلوى لسانه وجَنانه عما عمى عنه قلبه ، فلم ير نور هذا القرآن الذى أنزله الرحمن على خاتم رسله وأنبيائه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ ، وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ[1] ﴾ .

إن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَيْنِ يديه ولا مِنْ خلفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيم حميد ، جاء مصدقًا لما قبله من كتب الله : حاويًا لشرائعه ، داعيًا إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم .

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ[2] ﴾ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا[3] ﴾ .

ربنا اهْدِنَا الصِّرَاطَ المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

جاد الحق على جاد الحق

مفتي جمهورية مصر العربية

---

(١) الآية ٤٣ سورة يونس .

(٢) من الآية ٩ سورة الإسراء .

(٣) الآية ١١٠ سورة الكهف .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير الكتاب

الحمد لله الذى رضى لنا الإسلام دينا ، وبعث فينا محمداً بشيراً ونذيراً ، أرسله الله حُجة على المبطلين ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون ﴾ . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذى هدى به بعد ضـــلالة ، وأنار به بعد ظلمة ، رحمة الله المهداة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين . وبعد :

فإن أعداء الإسلام يتربصون به ، وله يكيدون ، لا تهدأ لهم ثائرة ولا يَفتُرُون ، فنى كل العصور والأزمان يحاولون أن ينالوا من الإسلام . ولـكنهم ـ فى كل مرة ـ يعودون بالهزيمة بفضل الحـكمة الإلـهية التى أنزلت فى دستور الإسلام ، وتولّت حفظه وصيانته :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

وجعلت من وسائل الصيانة وآيات المحافظة ، توارث المسلمين الآيات ، وحفظها فى القلوب والصدور حفظاً ممكناً .

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وكثيراً ما تطالعنا بعض دور النشر بكتب تفيض تمويهاً وتضليلاً ، ليوهم أصحابها القراء أنهم من المسلمين ، وأنهم من العلماء المخلصين ، وأصحاب النقد النزيه الذين لا همّ لهم إلا الوصول إلى الحق ، زاعمين أن كتبهم جديرة بالدراسة ، حَرِيّة بالبحث والعناية .

وصدق الله العظيم :

﴿ وَيَمْكُرُونَ ، وَيَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [1] .

وتتركّز افتراءات هؤلاء فيما يلي :

(١) أن الإسلام لا أصالة له ، وأنه من اقتباس محمد ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ من الأديان السابقة .

(٢) أن محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ لم تبشر به الكتب السماوية السابقة .

(٣) أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أمّيّاً .

(٤) أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يتشكك في نجاح دعوته ، وكان يستنجد بأهل الكتاب ليدفعوا عنه هذا الشك والارتياب ، ولذلك يحاول كَسْبَ مودتهم بالثناء على دينهم ، وامتداح ما جاء في التوراة والإنجيل .

---

(١) من الآية ٣٠ من سورة الأنفال .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(٥) أن القرآن من تأليف محمد ، صلى الله عليه وسلم .

(٦) أن الإسلام انتشر بالسيف .

وإلى هنا يحسن بى أن أقدم بين يدى القارئ ، نموذجاً لما أورده أحد هؤلاء الكتاب ، ليقف على حقيقة الدس والافتراء الذى حشا به كتابه ، ناقلا عبارته بالنص . . دون تعصب أو تحيز .

أولا : يبدأ بالإهداء فيقول : [أهدى كتابى هذا إلى المسلمين منهم ، لكى يذكروا وسط الإلحاد الجارف أنهم أهل القرآن : دين التوحيد الفطرى الذى نزل بين أهل الفطرة من بادية الحجاز ، واستقام عليه المسيحيون المقسطون ! ! الذين جعلهم القرآن شهوداً مع الله والملائكة على التوحيد المنزل] .

ثانياً : استشهد المؤلف بالآية الكريمة :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

ويسير فى تفسير الآيات الكريمة حسب هواه ، ويقرر بكل جرأة أن المراد بـ ﴿ أُولُو الْعِلْمِ ﴾ هم المسيحيون المقسطون ، ويؤكد دعواه هذه بقوله :

---

(١) الآية ١٨ من سورة آل عمران .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

[وهكذا رفع القرآن شهادة المسيحيين للتوحيد ، إلى مقام شهادة الملائكة ، ومقام شهادة الله جل جلاله ، وسماهم أهل كتاب الله أى أصحابه من دون العالمين] .

ثالثاً : يزعم المؤلف أن هـذا القرآن من صنع محمد وتأليفه ، وليس من عند الله ! . . ولكنه يأتى بهذه الفكرة بحذر وخبث ، وبأسلوب مُلتَوٍ فيه كثير من المكر والدهاء ، فيلجأ إلى تجزىء الآيات الكريمة ، ثم يأخذ جزءاً من آية فيربطه بجزء آخر من آية أخرى ، ثم يخرج بنسبة القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

ففى ص ١٩٠ يجيب المؤلف على سؤال اصطنعه : أن القرآن ليس بقول شيطان رجيم ، بل قول رسول كريم مُطَّلِع على الغيب المنزل ، يعربه ويفصله ذكراً للعالمين . . . ثم يقول : [هذا الرسول الكريم خبير حكيم ، أحكم الآيات وفَصَّلها] .

ويفسر لفظ « الرسول » الذى ورد فى سورة التكوير : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ على أنه [محمد صلى الله عليه وسلم ، لا جبريل] لينتهى إلى القول بأن القرآن من تأليف محمد ، صلى الله عليه وسلم ! . .

ويؤكد هـذا الغرض الخبيث بقوله : [إن محمداً تعلم القرآن من أحد علماء بنى إسرائيل ، وقد عرّبه من لسان الأعجمين] .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ويقول فى ص ٢١٠ : [رسول كريم ، خبير حكيم ، وحكيم عليم ، من علماء بنى إسرائيل ، مطلع على الغيب المنزل فى زبر الأولين ، يطّلع عليه النبىُّ محمـــد ، فيفصله بلسان عربى مبين ، ذكرى للمؤمنين ، وتقولون إنه قول شيطان رجيم ؟ لست بأفاك أثيم !] .

هـذا قدر كاف نقلناه ليفضح المؤامرة الخطيرة لتشويه جوهر الإسلام الناصع ! . . وليس هذا بجديد ، فلقد ذهب أهل الـكتاب من قديم إلى تحريف الـكتب السماوية السابقة .

وقد وقع فعلا فى التوراة والإنجيل بشـكل واضح ، سجله القرآن الـكريم فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْـكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ، لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَطَعْنًا فِي الدِّينِ . . . ﴾ (١) .

ويقول تبارك وتعالى ، ولا يزال قائلا عليما :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ، لَعَنَّاهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْـكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . . . ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٤٦ . (٢) الآية ١٣ سورة المائدة .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وبعد : فإن هـذا الأمر جد خطـير ، فى الوقت الذى هو فيه نذير ، ليوقظ المسلمين ، حتى يقفوا على ما يُدبر لهم ، وما يُراد بدينهم ونبيهم ، فيهُبّوا للجهاد فى الله وفى سبيل إظهار الحق ، وذلك على الأقل بتفنيد مزاعم أعداء الإسلام ، ودحض أباطيل تُجار الأديان ، وفضح أساليبهم ، وفَلّ أسلحتهم التى شهروها على الإسلام ـ طيلة أربعة عشر قرناً ـ وهذا أضعف الإيمان !..

وإن كان هذا تقع مسئوليته على عاتق علماء المسلمين ، فإن عامتهم مُطالَبون بالوقوف على دقائق دينهم ، ينفذون أحكامه ، بعد وحدة الـكلمة واتحاد الصفوف ، ويقف الخاصة والعامة من المسلمين صفاً مرصوصاً أمام التيارات التى تُناوِئ الإسلام وتُعاديه ، امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (١) ﴾ .

وبهذا يقتنع الأعداء أنهم لم ولن ينالوا من الإسلام ـ فى الماضى والحاضر والمستقبل ـ مهما عاودوا محاولاتهم ؛ لأنهم :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٢) ﴾ .

---

(١) سورة الصف : ٤ (٢) سورة الصف : ٨

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وهذا العمل الذى بين يدى القارئ ، عمل متواضع ، اكتفيت فيه بتفنيد بعض مزاعم أعداء الإســلام ، ولأقول لهم بلا مُواربة : إن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيّ من عند الله ، لا كذب .. وإن القرآن تنزيل العزيز الحميد على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم النّبيّ الأُمّيّ ، الذى قال له ربه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا . وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١) .

وقد اعتمدت ـ بعون الله تعالى ـ على تفنيد هذه المزاعم ، والردّ عليها بأقوال ونصوصٍ من كتب أهل الكتاب وعلمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم ، ليشهدوا بكلمة الحق : بأن القرآن حق ، وأن محمداً صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم رسول حق ، وأنه النبي لا كذب .. حتى لا يكون في صدق شهاداتهم ريبة ، ولا بعدها لمرضى القلوب والعقول ـ مجال !..

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ — ٥٣ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وصدق الله العظيم ، إذ يقول فى كتابه الكريم :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا :
نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ،
وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ،
وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * ﴾ (١) .

وبالله التوفيق .

الثلاثاء : الثانى عشر من ذى الحجة ١٤٠٠ هـ

الحادى والعشرون من أكتوبر سنة ١٩٨٠

المؤلف

محمد فؤاد الهاشمى

---

(١) سورة المنافقون : ١ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

معنى الإســـلام

المعنى اللغوى ـ المعنى الشرعى ـ كل الأديان دعت إلى التوحيد ـ
الاختلاف فى الدين بسبب البغى والعدوان

الإسلام هو الاسم الذى عرف به الدين ، الذى جاء به
محمدٌ صلى الله عليه وسلم

ولم تـكن هذه التسمية عن اجتهاد من الرسول محمد ، وإنمـا كانت من الله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَـكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) .

المعنى اللغوى :

عنى اللغويون والمفسرون والمستشرقون برد المعنى الشرعى للفظ (إسلام) إلى أصله اللغوى ، وأثار البحث فيه كثيراً من الجـدل ، ونريد أن نثبت هنا الرأى الراجح .. فإذا تتبعنا مادة (سلم) فى اللغة ، رأيناها تعنى هذه المعانى :

أولا : معنى الخلاص والتباعد من الآفات الظاهرة أو الباطنة .

ثانياً : معنى الصلح والأمان .

ثالثاً : معنى الطاعة والإذعان .

---

(١) المـائدة : ٣ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

المعنى الشرعى : الإسلام هو توحيد الله ، والانقياد والخضوع وإخلاص الضمير له ، والإيمان بالأصول الدينية التى جاءت من عند الله .

فالقرآن جعل الإسلام فى مقابلة الشرك :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ، قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

كما جعله فى مقابلة الكفر :

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

وجعله بمعنى الإخلاص لله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[3] .

وورد بمعنى الخضوع لله : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : ١٤ (٢) آل عمران : ٨٠

(٣) النساء : ٢٥ (٤) الزمر : ٤٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولفظ (أسلم) أطلقه القرآن على كافّة المخلوقين من عباده ، لأنهم جميعاً خاضعون لله ، ومُنقادون له بحكم خلقهم ، رضوا أم كرهوا :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١)

فالنبي نوح عليه السلام يقول :

﴿ ... وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

ويذكر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله :

﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ،

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) .

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : أَسْلِمْ ،

قَالَ : أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

والنبي يوسف عليه السلام يقول ، مخاطباً ربه :

﴿ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) آل عمران : ٨٣ (٢) يونس : ٧٢

(٣) البقرة : ١٣٠ ، ١٣١ (٤) يوسف : ١٠١

HTTP://KOTOB.HAS.IT

كذلك النبي موسى عليه السلام يقول لقومه :

﴿ ... يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ ،

فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ، إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وجاء في القرآن عن عيسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ، قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، آمَنَّا بِاللهِ ، وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

ثم أرسل الله رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام بالشريعة المكملة لهؤلاء الأنبياء ، ولهذا خاطبه الله بقوله : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

---

(١) يونس : ٨٤ (٢) آل عمران : ٥٢ (٣) النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

الاختلاف في الدين بسبب البغي والعدوان :

من الآيات السابقة يتبين أن الدين واحد ، وأن الاختلاف الذي كان فيه - عبر العصور - هو بسبب البغي على الدين وتحريفه من قبل القائمين عليه ، بما يوافق مصالحهم ، للوصول إلى الرياسة وحظوظ الدنيا !..

وكانت رسالة محمد صلى الله تبارك وتعالى عليه - وآله وصحبه - وسلم إظهار هذه الحقيقة ، ودعوة الناس جميعاً إلى أن يجتمعوا على الدين الإسلامي .

قال تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) .
فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ، وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ : أَأَسْلَمْتُمْ ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ، وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [١] .

---

(١) آل عمران : ١٩ ، ٢٠

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإذا كان الدين واحداً لا يجوز الاختلاف فيه ، فهذا الخلاف الذى حصل من أتباع الأديان : المسيحية واليهودية والإسلامية - من افتراق كل طائفة إلى فرق ، وحصول العداوة بينهم - هو مخالف لتعاليم الله ، الذى ما أنزل الأديان ، إلا لتكون سلاماً على الأرض ، ومحبة بين الأفراد والأمم . .

ولهذا كانت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هى التوفيق بين المخالفين ، ببيان الحق الذى حادوا عنه ، والتحذير من الاختلاف . .

ولهذا يقول تبارك وتعالى ، مخاطباً أتباع محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ،
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى : أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ،
كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ،
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) .
وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ،
لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فَلِذٰلِكَ فَادْعُ ، وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ،
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنْ كِتَابٍ ،
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللّٰهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ،
اللّٰهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فوحدة الدين حقيقة أعلنها القرآن ، وهى تدحض شُبُهات الذين يُنكرون الأديان بسبب اختلافها فى جوهرها وأصولها ، فادّعاؤهم : بأن كل نبى يأتى بدين يجب أن لا يُناقض سابقيه ، هو قول لا يَمُتُّ إلى حقيقة الأديان بصلة . فالدين واحد فى أصوله - فى نظر القرآن - ولكن الأديان تختلف فى تشريعاتها ، لاختلاف أحوال الأمم الاجتماعية ، ودرجة استعدادها العقلى .

ولقد اختتم الله الأديان بالدين الإسلامى ، وأعطى محمداً صلى الله عليه وسلم شريعة تنسخ ما قبلها من الشرائع ، مُظهراً فيها كُنْهَ الدين الحق . وهذه الشريعة تُوافِق ما اقتضاه التطور العقلى للإنسان ، وتصلح لكل زمان ومكان ، وإنها هى الشريعة المقبولة عند الله ، ولا يُقبل غيرها ، لقوله تبارك وتعالى :

---

(١) الشورى : ١٣ - ١٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ، فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ،
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وإمَ كان من الخاسرين فى الآخرة ،
من يطلب غير دين محمد : دينا وشريعة ؟

الجواب : هو ما قاله الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم فى الآيات السابقة على هذه الآية ، والتى تبين أن الإسلام قد جمع الشرائع السابقة كلها وتضمنها :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا : أَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) .
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) .
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ، وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) .

---

(١) آل عمران : ٨٥

HTTP://KOTOBARABIAS.IT

قُلْ : آمَنَّا بِاللهِ ، وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ، وَمَا أُنزِلَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ،
وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ،
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) .
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ، فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ،
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

هكذا كانت رسالة الإسلام ، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرها القرآن ، موصوفة فى كتبهم وأسفارهم ..

فإلى أسفار بنى إسرائيل ، لنستخرج منها ما أوردته نصوصها التى ذكرت محمدًا صلى الله عليه وسلم ، ذلك :

﴿ ... الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ (٢) .

---

(١) آل عمران : ٨١ — ٨٥

(٢) الأعراف : ١٥٧ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

محمد صلى الله عليه وسلم

فى التوراة

بالإضافة إلى تبشير الأنبياء أولى العزم وأصحاب الرسالات ، والذين تنزّلت عليهم كتب من الله تبارك وتعالى ، نجد كثيراً من أخبار الكهنة والأحبار ، تشير إلى ما ورد فى التوراة والإنجيل عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وعصره .

ولو أوردنا كل ما ورد عن هؤلاء الكهنة والأحبار من أساطين العلماء بمواطن الأمور : سَطِيح ، وَوَهْب بن مُنَبِّه ، وكعب الأحبار ، والمقوقس عظيم القبط فى مصر ، وهرقل الروم ، ونجاشى الحبشة ، وتُبَّع ، وأُمَيَّة بن الصَّلْت ... وغيرهم ، لضاقت – بما قرروه من أدلة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم – المجلدات ، حتى إنها لشيوعها وكثرة ما فيها من أدلة ، أصبحت مراجع لأهل الكتاب أنفسهم فى هذا الشأن .

وكم من محاولات بذلها بعض أهل الكتاب فى تحريف وتبديل وتكذيب ، لطمس هذه الأدلة ؛ ولكن الله سبحانه وتعالى – فى كل مرة – قيَّض من يقوم من بينهم داعياً إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، مجدداً بهذه الأدلة ، ومبيناً لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، بالحجة من كتبهم !..

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولا أدلّ على ذلك مما أورده « جا كوئيل رابيم » أحَدُ أحبار اليهود فى القرن الثامن عشر فى كتابه « يهود يثرب » ، ليوضح أن الله يُدافع عن دينه ، وينصر رسوله بالقول الصريح الصارخ !..

فقد جاء فى هذا الكتاب :

(اجتمع نفر من مختلف طوائف يهود يثرب فى بيت ساقية أخت حُيَىّ بن أخطب : سيد بنى النضير ، ليتدارسوا موقفهم من محمد ، وليرسموا خطط المعارك المقبلة بينهم وبينه ، واعتباره عدوًّا جاء إلى يثرب ، لينتهى بمجيئه عهدهم ، وتزول سيادتهم .

وبينما هم يتشاورون ، ويناقشون ما توصلوا إليه من تخطيط أساسه الدعاية الكاذبة والادعاء المُفترى ، وأهمه إقامة الحجة على دحض نبوته ، قام من بينهم شاب يدعى « الأكحل » من بنى جشم إحدى قبائل اليهود ، قائلًا :

« يا قوم : إنى سمعت من عمى قبل أن يهلك ـ وكان من الذين ينسخون التوراة ـ أن هـذا النبى جاءت صفاته فى التوراة ، وهو لا يزال فى علم الغيب ! »

* * *

وذكر على لسان عمه ما قرأه فى سِفرِ النُّبُوّات : أن النبى الآتى يكون من سلالة ابن هاجر ـ إسماعيل عليه السلام ـ وقد ناداه الربُّ :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

[﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ﴾
وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ .

أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي . سَمَّيْتُكَ : الْمُتَوَكِّل .

لَيْسَ بِفَظٍّ ، ولا غَلِيظٍ ، ولا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ،
ولا قَوَّالٍ لِلْخَنَا . أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ ،
وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ ،
والْبِرَّ شِعَارَهُ ، والتَّقْوَى ضَمِيرَهُ ، والْحِكْمَةَ مَقُولَهُ ،
والصِّدْقَ والْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ ، والْعَفْوَ شِيمَتَهُ ،
والْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ ، والْعَدْلَ سِيرَتَهُ ، والْحَقَّ شَرِيعَتَهُ ،
والْهُدَى إِمَامَهُ ، والإِسْلامَ مِلَّتَهُ ،
واسْمُهُ : أَحْمَــــدُ . .

أَخْتِمُ بِهِ النُّبُوَّاتِ والرِّسالاتِ ، وَأَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ ،
وأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهالَةِ ، وأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ،
وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
وَأَهْوَاءٍ مُشَتَّتَةٍ ، وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ ،
وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ : ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .]

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ويستمر الحَبْر المؤرخ ، فيقول :

(إنَّ المجتمعين أنكروا على الشاب ما قاله ، واتهموه بأنه دسيسة عليهم ؛ لولا أن قَيَّض الله للشاب من بين المجتمعين « عبدَ الله ابن سلام » الذى قام يُدافع عنه ويصدقه ، على قوله) .

كان هذا وأمثاله ممَّا دعانا إلى أن نفتش أسفار (العهد القديم) والتى تسمى عندهم بالتوراة ، لنرى : كيف تناولتها يد التحريف والتبديل ، بغية إنكار الحقائق ، وحذف ما يكون قرينة على كفر طائفة من بنى إسرائيل ، وذلك بمحو أدلة الأنبياء من بعد موسى ! ولكن الله أيد الذين آمنوا ، وحال دون طمس الحقائق ؛ فبقى - بعد التحريف - ما يقوم دليلا على نبوة الأنبياء ، ويبشر بخاتمهم : محمد صلى الله عليه وسلم .

فى سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين الطبعة العربية عام ١٨٤٤ م (جاء الرَّبُّ من سَيْناء ، وأشرق من سَعِير ، واستَعْلَن من فاران ، ومعه ألوف الأطهار) .

وهذه الفقرة دليل قاطع على توحيد الرسالات الثلاث التى بعث بها الأنبياء الثلاثة : موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم ، إذ جاء الوحى إلى موسى فى - وعلى - جبل سيناء ، كما أشرق فأوحى إلى عيسى فى سعير ، ونزل جبريل : الروح الأمين ، بوحى رب العالمين ، على : محمد فى فاران .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولا زالت تلك الأمكنة قائمة تشهد بوحدة الوحى الإلهى ، فسيناء خالدة لم تنطمس معالمها على الأرض ، ويزيد من خلودها أن الله أقسم بها فى القرآن الكريم ، مجاورة لمكة المكرمة فى صدر سورة التين :

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾

وها هى ساعير تقرّ – رغم أنف الزمن – بالوحدانية ، ومعالمها التاريخية ثابتة ، فهى تقع شرقى بيت لحم . وتسمى حاليا « بيت ساجير » أى : مدينة الرعاة ، وفيها ظهرت الملائكة للرعاة ، يبشرون بمولد المسيح عليه السلام . ومن معالمها كنيسة محفورة فى الصخر تحت الأرض ، تسمى : كنيسة الرعاة .

والرأى التاريخى الذى أجمع عليه المؤرخون أن ساعير أو ساجير حاليا هى المكان الذى انتبذته مريم أم المسيح بحملها ، خوفا من أهلها ، واستدل المؤرخون على ذلك بأن القرآن ذكر أنها انتبذت مكانا شرقيا . وهذا ما ورد فى سورة مريم ، إذ يقول الله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ، إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (١) .

---

(١) سورة مريم : ١٦ — ١٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

أما فاران وحراء وأبو قبيس ، هذه الجبال الثلاثة التى إذا أضيفت إلى الصفا والمروة ، فإنها تكوّن مكة المكرمة والبلد الأمين الذى رفع فيه إبراهيم وإسماعيل البيت الحرام الذى بوّأه الله لإبراهيم : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١) .

وها هو إسماعيل عليه السلام يساعد والده إبراهيم فى رفع البيت العتيق : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

والأسفار تشير إلى ذلك كما فى السفر المسمى بسفر التكوين ، إذ أورد سفر التكوين فى الإصحاح الحادى والعشرين :

(وسكن - إسماعيل - برية فاران ،
وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) .

---

(١) سورة الحج : آية ٢٦ (٢) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وفى نفس السفر الإصحاح السابع عشر ، تنبأ إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام بأنه (سيكون من أولاده من يتبعه شعب كبير) .

ولم يكن من أبناء إسماعيل من يتبعه شعب كبير ،

ولا أمة عظيمة غير : محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى الإصحاح التاسع والأربعين من نفس السفر ، وفى فقرته العاشرة :

(فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم ،

حتى يجيء الذى له الكُلُّ ، وإياه تنتظر الأمم) .

وفى ترجمة عربية سنة ١٨١١ : (فلا يزول القضيب من يهوذا ، والرسم من تحت أمره ، إلى أن يجيء الذى تجتمع إليه الشعوب) .

وإذا تأكد لنا أن موسى عليه السلام ، جاء لخلاص بنى إسرائيل وجمعهم بعد شتات . وقال لنا الإنجيل إن المسيح جاء إلى الضالين من بنى إسرائيل ليخلصهم من الضلال (وأجاب وقال : لم أُرسَل إلا لِخِراف بنى إسرائيل الضالة) . متى ١٥ – ٢٤ .

وأوصى المسيح عليه السلام تلاميذه (إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى السامريين لا تدخلوا ؛ بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) . نفس المصدر .

فإنه يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو النبي : الذى له الكُلُّ ، وإياه تنتظر الأمَمُ ، وإليه تجتمع الشعوب . وهو الذى يشير إليه سفر التكوين ، ويبشر به قبل مجيئه ؛ فإنه الرسول المبعوث للناس كافة .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

يؤيد ذلك المزمور الخامس والأربعون الذى يبشر العالم ببعثة محمد ورسالته ، إذ يخاطب داود محمداً عليه الصلاة والسلام :

[اِنسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ . لِذٰلِكَ بارَكَكَ اللهُ
إِلَى الدَّهْرِ ، تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْقَوِيُّ
بِحُسْنِكَ وَجَمالِكَ - بِذٰلِكَ يُسَمُّونَهُ الْقَوِيُّ -
فِي قَلْبِ أَعْداءِ الْمَلِكِ : أَعْداءِ اللهِ .
الشُّعُوبُ تَحْتَكَ يَسْقُطُونَ] .

المزمور يصف محمداً ، عليه الصلاة والسلام الذى انسكبت النعمة على شفتيه ، أى أوتى جوامع الكلم ، ونزل عليه القرآن رُوحاً من أمر الله ، يهدى إلى صراط مستقيم :

﴿ وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ،
مَا كُنْتَ تَدْرِي : مَا الْكِتَابُ ، وَلَا الْإِيمَانُ ،
وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ،
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) .
صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،
أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[١] .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ — ٥٣

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وأمر بقتال أعداء المَلِكِ - أعداء الله - بعد أن بلغ ظلمهم مَداه وعُنفُوانه ، مما كان لا بد من أن يصدر الإذن للقوى أن يحمل سيفه ، فيردّ البغى والعدوان الصادرين من أعداء الملك ، فيعود الأمان إلى الأرض :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ،

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [١] .

ومما يؤكد أن المزمور يشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه النبى الذى اجتمع عليه الأحزاب ويهود المدينة وشبه الجزيرة يحاربونه ، فأُذِن له بحمل السيف حتى انتصرت كلمة الله : أن المزمور التاسع والأربعين قال :

[فَلْيَفْرَحْ إِسْرائِيلُ فِي مَضاجِعِهِمْ .. وَسُيُوف ذات قَمِينٍ [٢]

تَصْنَعُ انْتِقاماتٍ فِي الأُمَمِ ، وتَوْبِيخاتٍ فِي الشُّعُوبِ ،

لِيُقَيِّدُوا مُلُوكَهُمْ بِالْقُيُودِ ، وأَشْرافَهُمْ بِالأَغْلالِ] .

والسيوف ذات القمين[٢] لم يحارَب بها إلا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فى جهاده ضد يهود خيبر ، وقيد الأشراف منهم بقيود

---

(١) سورة الحج ٣٩ .

(٢) السيوف ذات القمين : هى السيوف ذات الحد المدبب ، وهى ما يقال عنها السيوف البتارة أو السيوف الصارمة .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

من حديد مع الأسرى من كفار العرب ، الذين ظاهروا اليهود ضد الرسول والدعوة ، وتكفى هزيمة الروم والفرس لتشير إلى الانتقامات والتوبيخات التى أشار إليها المزمور .

وإذا تصفحنا الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، لنقف عند قول الرب لموسى :

[قال الربُّ : قد أحسنوا فيما تكلموا ،
سوف أقيم لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم ،
وأجعل كلامى فى فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به ،
ومن لم يُطِع كلامه الذى يُكَلِّم به باسمى ،
فأنا أكون المنتقم من ذلك] .

فمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب بنى إسماعيل : إخوة بنى إسرائيل أبناء إسحق ، لأن إسحق وإسماعيل هما ابنا إبراهيم عليه السلام ، وقد جعل الله كلامه فى فم محمد النبى الأمى الذى كان يتحنث فى غار حراء ، فجاءه جبريل يقرئه . فقال : ما أنا بقارئ ، فضمه جبريل إلى صدره قائلا :

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ .
اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . اَلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .
عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١) .

---

(١) سورة العلق ١ — ٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فقرأ كلام ربه ، واستقبل الوحى وبلَّغه ، وجهر بدعوة ربه ، وما نطق إلا بما أُوحِىَ إليه من ربه ، مما بهر الناس وجعلهم بين مصدق بما جاء به محمد ، وبين مكذب له يتهمه بالضلال يبغى القيادة والسيادة ، مما كان معه نزول الوحى من رب العالمين - مقسما بآلائه التى يراها الناس ويهتدون بها ليلا فى الصحراء ، والتى يعرفها العرب والعجم - فقال تبارك وتعالى فى محكم تنزيله :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى .

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ﴾ (١) .

وأما عن قوله لموسى : [سوف أُقيمُ لهم نبيًّا مِثْلَكَ] ، فإن الذين يعنيهم النص بقوله « لهم » قد تمرّدوا :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ،

أَوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣) .

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ ،

لَقَالُوا : رَبَّنَا ، لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ،

فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النجم : ١ - ٥ (٢) سورة طه : ١٣٣ - ١٣٤

HTTP://KOTOB.HAS.IT

كما يُحاط موسى علماً بقوم سيسدُّون آذانهم عن الدعوة ، ويعطون ظهورهم لها ، وقد ذكرهم أشعياء النبي فى سِفره .

ويقول القرآن الكريم عنهم لمحمد صلى الله عليه وسلم :

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى *﴾ (١) .

وقبل أن نتعرض إلى سِفر أشعياء ، نعود إلى سفر التكوين لنستكمل بشاراته بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والذى يشير إلى سلالة إسماعيل عليه السلام ، التى أشار إليها أشعياء ، ليؤكد أن هذه الإشارات خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد ورد فى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ، عن نسل إسماعيل عليه السلام :

[وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم ، حسب مواليدهم : بنابوت ، بكر ، إسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومه ، وتيماء . . . اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم] .

---

(١) سورة النجم : ٣٣ - ٤٢

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ونتنبه القارئ إلى أن بعض هذه الأسماء ، ستَرِد تباعاً في الإصحاحات متفرقة أو مجتمعة ، للتبشير - أو في معرض التبشير - بمحمد عليه الصلاة والسلام .

وبين أيدينا الآن سفر أشعياء ، وهو السفر الذي يعتمد عليه بنو إسرائيل والمسيحيون على السواء ، ويجعلونه دائماً عماد استشهادهم ، دون أسفار العهد القديم .

ففي الإصحاح الحادى والعشرين :

[وحى من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب ، تبيتين يا قوافل الدادانيين - من سلالة إسماعيل - هاتوا الماء لملاقاة العطشان . يا سكان أرض تيماء - بنى تميم من آل إسماعيل - وافوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا .

قد هربوا من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدود .

من أمام شدة الحرب (إشارة إلى الهجرة النبوية)

فإنه هكذا قال لى السيد في مدة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار (من بنى إسماعيل كما جاء في سفر التكوين) وبقية عدد قُصَىّ

(قصىّ جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم)

بنى قيدار نفتالى ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم] .

---

(١) سفر أشعياء .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وفى الإصحاح الثانى والأربعين :

[هو ذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سُرّت به نفسى ، وضعت روحى عليه ، فيخرج الحق اللأمم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته ... إلى الأمان يخرج الحق ، لا يَكِلُّ ولا ينكسر ، حتى يضع الحقّ فى الأرض ، وتنتظر الجزائر شريعته ...

أنا الربّ ، قد دعوتك بالبر ، فأُمسك بيدك ،

وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ، ونوراً اللأمم .

هو ذا الأوليات أنت ، والحديثات أنا مُخَبِّر بها قبل أن تنبت ، أعلمكم بها ، سبحوا للرب تسبيحة جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ، لترفع البَرِّيَّةُ ومدنها صوتها فى البيوت التي سكنها قيدار ، سبحوا يا سكان سالع من رءوس الجبال لتهتفوا ، ليعطوا للرب كرامة ومجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر . الرب كجبار يخرج مثل رجل حُروب . ينهض غيرته يهتف ويصرخ أنفخ ويقوى على أعدائه ... وأنخر معاً . أضرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها ، وأجعل الأنهار جزائر وبحيرات أجففها ، وأقود العمى فى طريق لم يعرفوها ، أجعل الظلمة أمامهم نوراً والصعب سهلا . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم . اِرْتَدُّوا إلى الوراء . يخزى خزياً المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكة : أنتُنَّ آلهتنا] .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وكلام أشعياء هذا يمكننا تفصيله ، كما جاء فى كتاب « العلاقة بين بنى إسرائيل والعرب » لمؤلفه المؤرخ اليهودى : « هربرت ستيزر » ص ٣٢ — ٣٨ :

[البيوت التى سكنها قيدار ، هى : مكة] .

[التسبيحة الجديدة :

هى الدين الجديد الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم] .

[سالع : هو جبل فى مكة] .

[الهتاف : هو الشعار للدين الجديد :

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله »] .

[ليعطوا للرب كرامة ومجداً :

أى ليوحّدوا الله ، وينزهوه عن الشريك والولد] .

[ويخرج مثل رجل حروب ، ينهض غيرته يهتف ويصرخ : أنفخ وأنحر معاً ، أضرب الجبال والآكام ، وأجفف كل عشبها ، يعنى : حرب النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ضد الكفر والفسوق والعصيان] .

[وأقود العمى فى طريق لم يعرفوها ، أجعل الظلمة أمامهم نوراً والصعب سهلا ، تعنى : أن بعثة ، محمد صلى الله عليه وسلم ، تجعل العمى يبصرون ، وتخرجهم من الظلمات إلى النور ، وتهديهم إلى صراط مستقيم] .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

[هذه الأمور أفعلها ، ولا أتركهم ... يخزى خزياً المتكلمون على المنحوتات ، القائلون للمسبوكة : إنكن آلهتنا ، تعنى : أن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قد وقع عليهم الخزى والعار بما عبدوا الأصنام المسبوكة ، وقولهم لها : أيتها الآلهة] .

فهل لِمُدّعٍ بعد تلك الأدلة القاطعة أن يُنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ! نعم : إن الحقد الأعمى يجعل صاحبه يُكابر ويُعاند الحقيقة ، وصدق الله العظيم ، إذ يقول فى كتابه الكريم :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ،
كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ ،
لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وها هو الإصحاح الرابع والخمسون ، وفيه ما نصه : (الفقرات من ١ — ١٧) .

[أيتها العاقر التى لم تلد ، أنشِدِى بالحمد وَهَلِّلِي ، التي لم تمخض من أجل أن الكثيرين مِن بَنِى الوَحْشَة أفضلُ من بنى ذات البعل . قال الرب : أوسِعِى موضع خيمتك وسرادق مضاربك ، ابسطى طول حبالك وثبتي أقدامك ، لأنك تنفذين يمنة ويسرة ، وزرعك يرث الأرض ويعمر المدن الخربة . لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجَلِينَ ، فإنك لا تستحيين من الذى صنعك ربُّ الجنود اسمُه

(١) سورة البقرة : ١٤٦ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وفاديك قدوسُ إلـه إسرائيل ، إله جميع الأرض يُدعى . إنما الرب دعاك مثل الامرأة المطلقة الحزينـة الروح ؛ وكزوجة مرزولة ، قال إلهك : تركتك ، وبرحمات عظيمة سأجمعك فى ساعة الغضب . أخفيت قليـلا وجهى عنك بالرحمـــة الأبدية ، ورحمتك . قال فاديك الرب : الجبال ترتجف ، والتـلال تتزلزل ، ورحمتى لا تزول عنك ، وعهد سلامى لا يتركك . قال رحيمك الرب : فقيرة مستأصلة بلا تعزية ، ها أنذا أبنى بالأثمد حجارتك . أؤسسك بالسفير ، وأجعل أبوابك حجارة منقوشة ، وجميع تُخُومك حجارة كريمة ، ها أنذا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار حجراً ويخرج آلة لعمله . وأنا هلكت المهلاك ليخرب] .

يقول « مناحم عزرا » الحاخام اليهودى فى كتابه : « شرح سفر أشعياه النبى » : [بنو الوحشـــة] هم بنو هاجر ، وهذا يستند إلى ما جاء في سفر التـكوين الإصحاح السادس عشر : [هذا سيكون إنسانًا وحشيًّا] .

أى أنه ساكن البرارى والقفار من يوم ولادته ، حيث أخذه أبوه إبراهيم عليه السلام مع أمه : هاجر ، كما عبر السفر ، منبوذة مطلقة .

والعاقر التى لم تلد هى « مكة » . والخطاب لها أن تحمـد الله الذى عظمها ، والتهليل إنما هو التكبير لله الذى سيبعث برحمته المهداة « محمدًا صلى الله عليه وسـلم » ، [ورحمتى لا تزول عنك ، وعهد سلامى لا يتركك ، قال رحيمك] .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ... وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ، إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ، قَالَ : عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ،
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ،
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

إذن لا حاجة إلى جهد من القارئ ، لكى يتبين أن ما هدف إليه أشعياء النبى وما تنبأ به ، قد حكاه القرآن الذى يقص سير الأولين وما جاء على لسانهم . وهذا من أكبر الأدلة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم ، وأن القرآن الكريم تنزيل من عزيز حميد . وصدق الله العظيم فى قوله الكريم :

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ — ١٥٧ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[(١)] .

الإصحاح الستون من ١ — ٧ .

فى هذا الإصحاح الستين ، نجد التنبؤ ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم .. وقبل أن نورد النص ، نشير إلى بعض الرموز التوضيحية التى وردت فى الإصحاح الخامس والعشرين ، خاصًّا بنسب إسماعيل عليه السلام مثل : « كثرة الجمال » و « غنم قيدار » و « كباش بنايوت » .

أما النص الذى جاء فى الإصحاح الستين من سِفر أشعياء : الفقرات من ١ — ٧ فهى :

[قومى استنيرى ، لأنه جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك ، لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض ، والظلام الدامس يغطى الأمم ، أمّا عليك فيُشرق الرب ، ومجده عليك يُرى ، فتنير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك . ارفعى عينيك حواليك وانظرى :

قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتى بنوك من بعيد ،
وتُحمل بناتك على الأيدى ... حينئذ تنظرين وتنيرين ،
ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ،
ويأتى إليك غنى الأمم ، تعطيك كثرة الجمال بكران مديان ،

(١) سورة النساء : ٢٦ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وعيفة كلها تأتى من شَبا تحمل ذهباً ولباناً ، وتبشر بتسابيح الرب ، وكل غنم قيدار تجتمع إليك ، وكباش بنايوت تخدمك .

تصعد إليك مقبولة على مذبحى . وأزين بيت جمالى] .

وننتقل من أشعياء النبى إلى حزقيال لنجده يبشر بالنبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى سِفرِه ، حيث يشير إلى جزيرة العرب وأرض الحجاز التى يظهر فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى ما كان سائداً من عقائد فاسدة فى شبه جزيرة العرب قضي عليها الإسلام :

[إن الذى يظهر فى البادية (الصحراء) كالكرمة : أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة ، وتفرعت منها أغصان مشرفة على أغصان الأكابر والسادات ، وبقيت ، فلم تلبث تلك الكرمة أن قلعت السخطة ، وضربها على الأرض فأخرجت ثمارها ، وكذلك غرس فى البدو فى الأرض المهملة المعطلة العطشي ، فى أرض غير ذى زرع ـ تلك الكرمة] .

من الذى ظهر فى البادية (الصحراء) ؟

الجواب : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم : من الذى أروى العطش ، وحرر العبيد ، وأعاد للناس الكرامة بعد الذل ، وبيَّن قيمة الإنسان ؟

إنه هو الإسلام الذى جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه . وهذا ما بشرت به أسفار التوراة ، وهذا ما سجله أنبياء بنى إسرائيل فى كتبهم : بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فالنبى صلى الله عليه وسلم من سلالة إسماعيل وهاجر ..
وهو : النبى البشير . النبى النذير . النبى المتوكل . النبى الرءوف . النبى البار . النبى الذى حطم الأصنام . النبى الصادق . النبى الوفى . النبى العادل . النبى الحق . صاحب شريعة الحق .

النبى الذى علّم اللهُ به بعد جهالة ، والذى أَلَّف به قلوبا مشتتة ، وأمماً متفرقة ، والذى رفع الله به بعد جهالة ، وهدى به بعد ضلالة .

النبى الذى أسماه ربه : المتوكل ، وأسماه أحمد ، ليس بِفَظٍّ ولا غليظ ، ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا قوّال لِلْخَنَا .

زيّنه الله بكل جميل ، ووهب له كل خلق كريم ، وجعل الله السكينة لباسه ، والبِرّ شعاره ، والتقوى ضميره .

وصدق الله العظيم ، إذ يقول فى كتابه الكريم :

﴿ .. الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (١) .

وها نحن وقد صدقنا الله - عز وجل - أنه مكتوب فى التوراة ، فعلينا أن نَذْهَبَ إلى الإنجيل ، لا لأننا لم نُؤمن بعد ، ولكن لتطمئن قلوبنا ، ونقيم الحُجّة على الذين يشككون فى نُبوته ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

بشارة المسيح بمحمد

صلى الله عليه وسلم (١)

يقول السيد المسيح عليه السلام : إنه جاء ليكمل ناموس موسى والأنبياء ، ولذا أصبحت كتب المسيحية المقدسة – لديهم – هى ، العهدان : القديم ، والجديد .

وهكذا فإن أسفار العهد القديم كلها مقدسة لدى المسيحيين ، لأنهم يعتمدون على ما ورد فيها – فى إثبات حقيقة المسيح وولادته وألوهيته وصَلْبِه – إلى غير ذلك مما زعموه فى كتبهم ؛ كالأناجيل والرسالات والأعمال التى قام بها تلاميذ المسيح ، وسميت بالعهد الجديد .

ولو رجعنا إلى هذه (الكتب المقدسة) التى توجد بين أيدى مسيحيِّى العالم ، على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم وعقائدهم ، وأمعنّا النظر فيها – بصرف النظر عن عقيدتنا ، فيما طرأ عليها من تحريف وتغيير – لاستظهرنا بعض الحقائق بين طياتها ، أخطأتها أيدى العبث رغماً عنهم ! . . وهذه الحقائق تشير بإشارات صريحة إلى أن نَبِيًّا سيأتى بعد المسيح ، يكون من صلب إسماعيل ومن بطن هاجر .

---

(١) هذا العنوان والباب كله من كتاب « سرّ إيمانى » للمؤلف من ص ١٠٠ – ١١١ مع إضافات جديدة لم ترد بالكتاب المذكور .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وللدخول إلى كتب المسيحية ، بعد أن تعرضنا إلى أسفار العهد القديم ، نقف أمام « إنجيـــل يوحنا » الذى يقص علينا أن يوحنا المعمدان عندما ذهب ليعمد الناس من نهر الأردن ، وكان المسيح عليه الســـلام قد ظهر وأظل اليهود زمانه ، فتصدى اليهود ليوحنا ، إذ كان مكتوباً عندهم فى التوراة أن المسيح آتٍ ، وسيأتى من بعده نبى » .

[فسألوه : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح !
ولا إيليا ! ولا النبى ؟ ! [(١)]]

من هـذا السؤال نستطيع أن نستنتج أن هناك نبيًّا بشرت به الـكتب لدى اليهود والمسيحيين .

وحيث أن السؤال كما فى عهـد السيد المسيح ، وأن إيليا كان نبيًّا من أنبياء بنى إسرائيل جاء بعد موسى وقبل المسيح ـ قيل إن إيليا هو الذى أوجد فكرة التعميد التى كانت جزءاً من دعوته ـ إذن فالنبى هو الذى سيأتى بعد المسيح .

والذى أتى بعد المسيح هو : محمدٌ صلى الله عليه وسلم :
﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾[(٢)] .

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول فقرة : ٢٥ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٧ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وقد حققنا ــ فيما سبق[1] ــ أنه مكتوب فى التوراة ،

فهل هو مكتوب فى الإنجيل ؟

نعم ! موجود عندهم فى أسفار العهد الجديد .

وردت فى هــذه الرسائل ، والمـكتوب منها باللغة القبطية ، كلمتا : « الفاراقليط » ، و « مِسِيَّا » .

الأولى : وردت فى إنجيل مخطوط كتَبه أحــــد البطارقة ، نقلًا عما يسمى بإنجيل المسيح عام ٥٠٦ بعد الميلاد (الإنجيل المخطوط منزوع الغلاف وهو بين يدى) . .

وقال كاتبه في ديباجته : إنه نقلا من أصول الإنجيل الحقيقى .

ولقد أورد العبارة التى معناها بالعربية ــ وهى على لسان المسيح عليه السلام ــ إذ يقول المسيح :

[الْآتِى بَعْدِى يُسَمَّى : الْفاراقليط بند كراطور
ــ أَى : الرُّوحُ الْمُنْبَثِقُ اسْمُهُ مِن اسْمِ الْحَمْدِ ــ
سَيَبْعَثُ الْحَيَاةَ فِى أُمَّةٍ لَيْسَتْ لَهَا مِنَ الْحَيَاةِ نَصِيبٌ
إِلَّا الضَّلَالَ فِى بَرِّيَّةِ فاران ، كَجِحَاشِ الْأُتُنِ] .

وقد سبق أن أشرنا ــ فى الفصل السابق ــ أن برية فاران ، هى : جبل شبه جزيرة العرب .

---

(١) فى الباب السابق .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وأما الكلمة الثانية (مِسِيًّا) فقد وردت فى إنجيل برنابا ، ومعناها : الرسول الخاتم .

وقبل أن نستطرد فى ذكر الشواهد على نبوة النبى ، صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم ، نضع بين يدى القارئ فكرة عن إنجيل برنابا ، الذى حرّمت المسيحية قراءته مع أناجيل أخرى .

فيذكر التاريخ أن هناك أناجيل كثيرة حرّمت قراءتها الكنيسة ، كما يذكر التاريخ أمراً أصدره « البابا جلاسيوس الأول » الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يُعدّد فيه أسماء الكتب المنهى عن مطالعتها ، ومن بينها كتاب يسمى « إنجيل برنابا » . و « البابا جلاسيوس » سار على سُنّة أسلافه ، وجرى على سنته بعده أخلافُه . .

وعلى هذا ، فإن إنجيل برنابا كان معروفاً ومتداولا قبل بعثة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، بأكثر من قرنين .

وبرنابا كان من حَوارِيِّ المسيح قبل غيره من التلاميذ ، وإنجيله خالف ما عليه المسيحيون فى أمور كثيرة ، نذكر منها ما نحن بصدده ، وهو الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) قال إن مِسِيًّا هو : محمد ، وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية ، وقال إنه رسول الله ، وإن آدم لمّا خرج من الجنة ، رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرف من نور :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

ولقد قال المسيح ، كما جاء في إنجيل برنابا :

[إِنَّ الآيَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا اللَّهُ عَلَى يَدِي ،

تُظْهِرُ أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ .

وَلَسْتُ أَحْسَبُ نَفْسِي نَظِيرَ الَّذِي تَقُولُونَ عَنْهُ ؛

لِأَنِّي لَسْتُ أَهْلًا لِأَنْ أَحِلَّ رِبَاطَاتِ

- أَوْ سُيُورَ - حِذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي تُسَمُّونَهُ :

« مِسِيَّا » .. الَّذِي خُلِقَ قَبْلِي ، وَسَيَأْتِي بَعْدِي

بِكَلَامِ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُ لِدِينِهِ نِهَايَةٌ] .

(٢) وإنك لتجد كلاماً وافياً بالتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التلاميذ طلبوا من المسيح - عليه السلام - أن يُصرّح لهم به ، فصرّح بما يعلن له حقيقته ، ويبين ما له من شأن (١) .

(٣) في نفس الإنجيل ورد على لسان المسيح عليه السلام أن الله خاطب آدم عليه السلام ، لينبئه بقدوم محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن عرض عليه صورته ، التي بهرت آدم وسمع قول الله له (٢) :

---

(١) إنجيل برنابا : الإصحاحات ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) المصدر السابق : الإصحاحات ٤٥ ، ٤٦ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

[وقال الله : يا عبدى آدم :

إنى أقول لك إنك أول إنسان خلقتُ .

وهذا الذى رأيته ، إنما هو : ابنك ،

الذى سـيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة .

وسيكون رسولى ، الذى متى جاء سيعطى النور - نور العالم -

الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة ،

قبل أن أخلق شيئاً][1] .

(٤) وورد فى الإنجيل نفسه ، أن آدم تضرّع إلى الله :

[يا رب ! هَبْنِى هذه الكتابة على أظفار أصابعى .

فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه :

على ظفر الإبهام اليمنى : « لا إله إلا الله » ،

وعلى ظفر الإبهام اليسرى : « محمد رسول الله » .][2]

(٥) كما أورد برنابا فى إنجيله : [رسول الله - متى جاء - يعطيه الله بمثابة خاتم يده ، فيحمل خَلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعاليمه ، وسيأتى بقوة على الظالمين ، ويُبيد عبادة الأصنام ، بحيث يُخزى الشيطان ، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم][3] .

---

(١) الإصحاح ٤٥ من المصدر السابق .

(٢ ، ٣) الإصحاح ٤٦ من المصدر السابق .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(٦) وعلى لسان المسيح - عليه السلام - أورد برنابا فى إنجيله :

[لذلك أقول لكم : إن رسول الله بهاء يزدان بروح الفهم والمشورة ، وروح الحكمة والقوة ، وروح الخوف والمحبة والرحمة ، وروح العدل والتقوى ، وروح التبصر والاعتدال ، وروح الصبر واللطف الذى أخذ الله منها[١] ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ؛

وَمَا أَسْعَدَ الزَّمَنَ الَّذِى سَيَأْتِى فِيهِ لِلْعالَمِ !

صَدِّقُونِى ! إِنِّى رَأَيْتُهُ ، وَقَدَّمْتُ لَهُ الاحْتِرَامَ ،

كَمَا رَآهُ كُلُّ نَبِيٍّ ، لِأَنَّ اللهَ يُعْطِيهِمْ رُوحَهُ : نُبُوَّةً ..

وَلَمَّا رَأَيْتُهُ ، امْتَلَأْتُ عَزَاءً][٢] .

ونختم كلام إنجيل برنابا ، بما جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام :

[إن كلامكم لا يُعَزِّينى ؛ لأنه يأتى ظلام حيث تَرْجُون النور ، ولكن تعزيتى هى فى مجىء الرسول الذى سيُبيد كل رأى كاذب ،

وَسَيَمْتَدُّ دِينُهُ ، وَيَعُمُّ الْعالَمَ بِأَسْرِهِ ؛

لِأَنَّهُ هـكَذَا وَعَدَ اللهُ أَبَانا إِبْراهِيمَ ،

وإنَّ ما يُعزينى ألّا نهاية لدينه ؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً !

---

(١) أى أعطى الله منها لرسوله . (٢) الإصحاح السابق .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

حينئذ رفع الجموع أصواتهم قائلين :

(يا ألله ! أرســـل لنا رسولك .

يا محمد ! تعالَ سريعاً لخلاص العالم) .] [1]

ورُبَّ قائل يقول : إنك ذكرت أن المسيحيين يرفضون ، بل إنهم حرّموا قراءة إنجيل برنابا ، فهل لديك ما يؤيد قوله ، مما بين أيديهم من أناجيل ؟ أقول : نعم !

بل يزداد الأمر وضوحاً حينما تدخل إلى الأناجيل التى بين أيدى المسيحيين : فترى أن السيد المسيح يشير إلى النبى صلى الله عليه وسلم - فى أكثر من موضع - على أنه الحجر الذى رفضه البناءون تارة .

وتارة يُشير إلى أن الكتاب الذى نزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، هو القرآن الكريم الذى يكون : الكُلّ أى المتمم الخاتم لجميع الكتب السماوية .

وتارة أخرى يشير إلى أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم على أنها الأمة التى ستنتزع ملكوت السموات ، وتعمل له ، وتجنى ثماره .

ومرة أخرى يشير إليه على أنه روح الحق المُعَزِّى الذى يرشد الناس إلى جميع الحق ، الذى لا ينطق عن هوى ، إنما هو وحى يوحى إليه .

---

(١) المصدر السابق : إصحاح ٩٧ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فقد جاء على لسان السيد المسيح :

[أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البناءون ،

هو قد صار رأس الزاوية من قِبَل الربّ .

كان هذا ، وهو عجيب فى أعيُننا .

لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ،

ويعطى لأمة تحمل ثماره] [1] .

ومن هذه العبارة يتضح : أن محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو :
(١) الحجر رأس الزاوية (٢) الذى رفضه البناءون
(٣) وقد صار رأس الزاوية من قبل الرب (٤) وأن ملكوت
الله ينزع من قوم المسيح ، ويعطى لأمة تحمل ثماره .

وواضح من الواقع التاريخى البحت ما يلى :

(١) محمد صلى الله عليه وسلم هو رأس الزاوية الذى
رفضه العرب واليهود والمسيحيون فى بداية الدعوة ، لأنهم لا يعرفونه .

(٢) محمد صلى الله عليه وسلم صار رأس الزاوية من قِبَل
الرب ، فآمن به العرب والعجم ، وتحطمت تحت قدميه الأصنام
وعروش الطغيان ، ونصره الله نصراً عزيزاً .

ويقول عن نفسه : إنه المتمم لبناء الأنبياء من آدم حتى المسيح .
عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) متى : الإصحاح ٢١ الفقرتان ٤٢ ، ٤٣

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ففي حديث شريف يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي :

كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَحَسَّنَهُ وَجَمَّلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ(1) .

فَجَعَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَقَالُوا : لَوْ أَنَّهَا وُضِعَتْ !

فَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةُ . »

(٣) ملكوت الله يُنزع منكم ، ويعطى لأمة تحمل ثماره : يشرحها القرآن الكريم ، حين يشير إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تبارك وتعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ،

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ . ﴾(2) .

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ،

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ،

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾(3) .

---

(١) طوبة . (٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وفى نفس الإنجيل (متى) يشير المسيح إلى القرآن الكريم ، الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم :

[... فإنى الحق أقول لكم ، إلى أن تزول السماء والأرض ،
لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ،
حتى يكون الكل] (١) .

والكل هو القرآن الكريم الذى نُزِّل على محمد ، وهو الحق من ربهم ، فيه نبأ ما قبلكم وما بعدكم ؛ فيه هدى للمتقين ، تبياناً لكل شىء ، فيه تنظيم الدنيا والآخرة ، نزل على قلب بشر لم يؤت من قبل فنون الكلام ، نزل به الروح الأمين .

والمسيح لم يأل جهداً فى التبشير بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه روح الحق الذى يحمل بين يديه العزاء للعالم كله ، والرحمة للعالمين . وهذا ما يقوله المسيح عليه السلام :

[إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي ، فَاحْفَظُوا وَصايايَ ..
وَأَنا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ ، فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ ،
لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ : رُوحُ الْحَقِّ الْمُعَزِّى
الَّذِى لا يَقْبَلُهُ الْعالَمُ ، لِأَنَّهُ لا يَعْرِفُهُ] (٢) .

---

(١) الإصحاح الخامس : ١٧ - ١٨

(٢) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٤ فقرة : ١٥ - ١٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإشارة المسيح تحمل معنى واحداً لا يحتمل أى تأويل : هو أن ذلك الروح الحق المعزّى جاء للناس كافة ، لأن كلمة الله تشير إلى الجمع أى إلى أهل الأرض جميعاً ، بمن فيها من إنس وجان .

وقد أراد بعض أعداء الإسلام أن يضربوه بسهامهم ، فارتدت تلك السهام إلى نحورهم ، أرادوا بالإسلام كيداً فإذا هم الأخسرون ، أرادوا أن يقولوا : إن الروح هو كتاب من عند الله .. فجاءت إشاراتهم إلى القرآن ، وهم لا يعلمون .

فإذا كان الرُّوح بشراً نبيًّا ، فهو محمد المُرْسل رحمة للعالمين ، ولن ترضى عنه اليهود ولا النصارى ، كما جاء أن العالم سيرفضه لأنه يرفض أن يتبع مِلّتهم التى استحدثوها بعد ، أو رفضوا هم المِلّة التى جاء بها المسيح ! . . كما أنه مرفوض من أصحاب النار عُبّاد الأصنام والأوثان .. ذلك لأن العهد الذى بُعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم كان يخلو من المؤمنين ، فلم يكن إلا عابدُ وثن ، أو ساجدٌ لنار ، أو متبتل لحيوان ، أو كِتابىٌّ منحرف عن الملة الحق . ولهذا كان العالم شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالا ـ متحضراً أو بدوياً ـ فى حاجة إلى مُنقذ ، مما اقتضت حكمة الله توقيت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ليحرر العقول من الضلال ، ويفك القيود والأغلال .. وبذلك يكون روح الحق المُعَزِّى لهذا العالم ـ بجميع طوائفه وأجناسه ، وألوانه ، ولغاته ، وعباداته وطقوسه ، وأوهامه ـ بشيراً ونذيراً .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وصدق الله العظيم الموحي إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ،
وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ *
وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ ،
حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (١)

وإن كان كتاباً منزلا من عند الله ، فهو القرآن الذى عن بعض صفاته :

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ، لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ (٣) .

﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ، فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ ، لِتُنذِرَ بِهِ ، وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ ،
مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة البقرة : ١١٩ ، ١٢٠ (٢) سورة البقرة : ٢

(٣) سورة آل عمران : ٣ (٤) سورة الأعراف : ٢

(٥) سورة هود : ١

HTTP://KOTOB.HAS.IT

﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ (١) .

هذا قليل من كثير مما وصف الله به كتابه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الدليل الأقوى على نبوته .

والمسيح يبصّر أمّته - كما سنذكر - بأن لديه أسراراً كثيرة تفوق طاقة احتمالهم ، وأنه سيأتى الوقت المناسب لمجىء الرسول الذى يعنيه بالروح الحق ؛ فتكون العقول قد تفتحت ، والقلوب قد ذهب عنها رينها ، والنفوس قد أُلهمت تقواها بعد فُجورها .

فى هذه اللحظة فقط ، يكون الناس قد استعدّت أفهامهم ، واتسعت مداركهم لاحتمال كل ما يُلقى إليهم على حساب هذا النبى الذى لا يتكلم من نفسه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ .

وفى هذا يُشير المسيح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، أوحى الله إليه بالقرآن الذى قال فيه :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ، لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة طه : ١ — ٤ (٢) سورة الإسراء : ١٠٥ - ١٠٦

HTTP://KOTOB.HAS.IT

هذا معنى ما قال السيد المسيح عليه السلام [1] :

[إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا ، لِأَقُولَ لَكُمْ ،
وَلٰكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ .
وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذٰلِكَ رُوحُ الْحَقِّ ،
فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ ،
لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ ! . .
بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ ، يَتَكَلَّمُ بِهِ ،
وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ ! . .]

إذن فالإنجيل قد بشّر بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولا ، خاتمًا لبناء الرسالات . . كما بشر بأنه سيوحى إليه من الله بكتاب مُتَمّم لناموس الأنبياء ، هو : محمدٌ الرُّوح المُعَزّى ، هو الحجر رأس الزاوية ، هو الهادى إلى صراط الله العزيز الحميد .

* * *

اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ، فقد حَوَت رسالته أخبار السموات والأرض ، كما قال المسيح عليه السلام :

---

(١) إنجيل يوحنا : الإصحاح ١٦ فقرة ١٣ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

[لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ :

سَأَفْتَحُ فَمِي بِأَمْثَالٍ ، وَأَنْطِقُ بِمَكْنُونَاتٍ ،

مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ] (١) .

وهو النبى عليه الصلاة والسلام الذى قال عنه المسيح عليه السلام :

[أَمَّا الْمُعَزِّى الرُّوحُ الْقُدُسُ ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ ؛

فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ

قُلْتُهُ لَكُمْ] (٢)

وقبل انتهاء حياة المسيح ـ عليه السلام ـ هَيَّأَ البشرية لاستقبال المعزى عليه الصلاة والسلام :

[وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى . إنه خير لى أن أنطلق ؛

لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتيكم الْمُعَزِّى] (٣)

ويقول يوحنا فى إصحاحه الخامس عشر الفقرة ٢٦ مشيراً إلى أن المعزى سيشهد للمسيح بالنبوة :

[وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّى : رُوحُ الْحَقِّ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي . . .]

---

(١) إنجيل متى : إصحاح ١٣ الفقرتان ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) إنجيل يوحنا : إصحاح ١٤ ، الفقرة ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ ف ٥ ـ ٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

أمية محمد صلى الله عليه وسلم

تزعم الكتابات المضللة أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أُمِّيًا ، وذلك بهدف الوصول إلى أن القرآن من عِنديات محمد عليه الصلاة والسلام !.. وما دام من تأليفه ، فإنه ليس بنبيّ ، ولم يُوحَ إليه !

والعجيب فى الأمر أنى رأيت بعض هذه الكتابات تستشهد بقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَّارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (١) .

وهذا الاستشهاد نفسه هُوَ مِنْ معجزات رَبِّ مُحَمَّدٍ الذى يُرِيدُ أنْ يفضحهم ، ويحول بينهم وبين ما يريدون ، لأن هذه الآية تَنْعَى على اليهود إنكارهم ما جاء فى كتبهم ، وتكشف الأستار عن مؤامراتهم .

وهذه الآية الكريمة التى أرادوها حُجَّة لهم ، هى بكل وضوح حجة عليهم ، يُسجِّل الحقُّ تبارك وتعالى أن محمداً لم تسبق له معرفة القراءة ، ولم يقرأ إنجيلا أو توراة ، من قبل أن يُوحَى إليه بالقرآن الكريم ، ولم يستعمل قلماً يخطُّه بيمينه ! . .

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولو عرف عنه أهل الكتاب فى عصره ، ولو عرف أعداؤه من العرب ، لاحتجّ أهــل الكتاب بأنه لا تنطبق عليه أوصاف النبى الذى بشرت به كتبهم :

﴿ ... الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ .. ﴾ (١) .

وإذن لاتّخذ أعداء النبى صلى الله عليه وسلم - من العرب - معرفته القراءة والكتابة سلاحاً لتكذيبه ، ولقالوا - وخاصة أبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف وأمثالهم من سادة قريش ، حينما سمعوا من حوار الوحى بين الرسول وجبريل عليه السلام ﴿ اقرأ ﴾ ﴿ ما أنا بقارئ ﴾ - كيف تكون نبيًّا لله ، وأنت تكذب على الله وتقول : ﴿ ما أنا بقارئ ﴾ ؟ !

إذن فسُكوت العرب - أعداء النبى صلى الله عليه وسلم - إثبات للأمية ، ذلك لأنهم يعرفون أن أهل الكتاب يتهمونه بالاقتباس من (بَحِيرَى) الراهب ، أو من (جبرا) الرومى ! . .

ولهذا فإن علمهم بأمِّيّــة النبى أسكتهم عن مُسايرة أهل الكتاب فيما يقولون ، فى الوقت الذى يبحثون فيه عن نقطة ضعف ، يُشيعون بها حقدهم على محمد صلى الله عليه وسلم ! . .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية ١٥٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وسُكوت مُدّعِي النبوة عن الادعاء بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كان قارئاً أو كاتباً هو من الأدلة الثابتة ؛ لأن مدعى النبوة كان يهمهم إسقاط دعوة محمد ﷺ بأى وسيلة من الوسائل ، بل كانوا يتلمّسون لذلك الطرق ، حتى يخلو لهم الجو ، فيؤمن الناس بنبوتهم (١) .

ولكنهم مع علمهم بما قال أهل الكتاب ، فإنهم لم يستطيعوا مسايرتهم ، وإلا ظهر كذبهم وسط العرب ، وانهـدرت نبوتهم ، إذ أنهم سيدّعون بحَدَث يعرف العرب أنهم فيه كاذبون ، إذ أن قريشاً وما جاورها - وما حالفها من عرب - يعرفون محمداً اليتيم الذى نشأ أمياً ، لا يعرف القراءة والكتابة .

ولكى نُدلل على عصبية العرب وتعصبهم ضد النبى صلى الله عليه وسلم ، نقول : هذا هو مسيلمة الكذاب ، وقد قصده طلحة النمرى ، وسأل عنه قومه قائلا : أين مسيلمة ؟ فصاحوا به أن يذكر أنه رسول الله . ثم قادوه إليه .. فحاوره قليلا ، وتبين له سخفه .

فقال له : أشهد أنك كاذب ، وأن محمداً الأمىّ صادق !.. ولكن كذاب ربيعة ، أحب إلينا من صادق مُضَر !

---

(١) فنشوب الردة فى أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته - مع اختلاف ثقافات المتنبئين ومناهجهم ومواطنهم - ثم فشلهم جميعاً فشلا نهائياً ذريعاً وسريعاً . كل ذلك فى ذاته إنما هو برهان ، بل براهين أضافها واقع التاريخ ، على صدق النبوة المحمدية وإعجازها .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فهذه شهادة العدو المتعصب تعصباً قبلياً ، عاطفياً وطنياً ، الذى شهد بصدق محمد الأمى ، ولكنه يفضل عليه الكذاب الربيعى .

فهل لو كان محمد يقرأ أو يكتب ، ولم يكن أمياً : أكان طلحة النمرى كذب مسيلمة - من بنى جلدته - فيسكت دون تكذيبه ؟

إذن فهذا دليل على أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى أن الأمىّ قام بإقامة دولة ، ما كانت تقوم إلا إذا كان هذا الأمى مؤيداً من قوة عُليا ! . وهذا ما قاله الكاتب المستشرق « كارليل » فى كتابه عن الأبطال :

(.. وقد شاهدنا أناساً - وما كان أكثرهم أميين - قاموا فى أمة العرب ، وادّعوا النبوة ، منهم « مسيلمة » الذى ادعى أنه قرين محمد ، أتى بسورة سخر منها العرب !.. ولكن القرآن الذى نزل على محمد ، انحنَتْ له الجِباهُ : جباه الأعداء قبل المؤمنين !)

وصدق الله العظيم :

﴿ .. مَا كُنْتَ تَدْرِى : مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ .. ﴾(١) .

إذن كيف يُعَرِّبُ الأمىُّ القرآن من الأعجمين بلسان عربى مبين ؛ إلا أن يكون ذلك غموض فى خيال مختل ، لأنه شيطان رجيم ؟ ! ولكنه خاب فَأْلُهُ حين ظن - بنزاهته المزعومة ، وبحثه الذى حشاه بالضلال المبين - أنه سيتلاعب بعقول الأولين والآخرين .

---

(١) سورة الشورى : ٥٢

HTTP://KOTOB.HAS.IT

الرسول الواثق من دعوته

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ .
لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ،
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(١) .

صدق الله العظيم

بعد أن سقطت دعوى عدم أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن ردّ اللهُ كيد الكائدين بِثبوت أميته ، أصرّ أصحاب الكتابات المُغْرِضة على الاستمرار فى الكذب والافتراء ، فقالوا : إن محمداً كان كثيراً ما يتشكك فى نجاح دعوته ، وكان يستنجد بأهل الكتاب ليدفعوا عنه هذا الشك والارتياب ، ولذلك كان يحاول كسب مودتهم ، بالثناء على دينهم ، وامتداح ما جاء فى التوراة والإنجيل !..

وللردّ على هذا الافتراء نقول : لم يثبت تاريخيًّا ، أو على لسان أحد ، أن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، تسرّب إليه شكّ فى الرسالة التى بعثه الله بها ، من يوم نزول الوحى عليه ـ فى غار حراء ـ حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ! . .

(١) سورة النحل : ١٠٣

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإن كان لا بد من إقامة الدليل ، فإليك سؤال وجهه الإمام : علىّ - كرم الله وجهه - إلى الرسول ، عليه أزكى الصلاة والسلام : (ما سُنَّتُك ، يا رسول الله ؟)

أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اَلْمَعْرِفَةُ : رَأْسُ مالِي ، والْعَقْلُ : أَصْلُ دِينِي .
والشَّوْقُ : مَرْكَبِي ، وذِكْرُ اللهِ : أَنِيسِي ،
والثِّقَةُ : كَنْزِي ، والْفَقْرُ : فَخْرِي ، والزُّهْدُ : حِرْفَتِي ،
والْيَقِينُ : قُوَّتِي ، والطَّاعَةُ : حَسْبِي ، والْجِهادُ : خُلُقِي ،
وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ . . »

من هنا يتّضح للعيان أن الرســول ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان يشك فى نجاح دعوته ، وهو يعرف الله الذى بعثه بدين حرّر العقل ، فجعله أساس تقبُّل الدعوة . . هو العقل الواعى الذى يدفع المؤمن إلى حب الله والثقة به ، فيوقن المؤمنون ، ويذكر الذاكرون ، فيجاهدون النفس ، ويتحقق الفناء فى الله ، بعد جهاد النفس والمُغريات ، فيتسابقون إلى رضـاء الله ، زاهدين فى الحياة ، وقُرّة أعينهم فى الصلاة ، وهم لربِّهم رُكّعٌ سجود ، حتى يرضى الله عنهم ، ويرضوا عنه : أُسْوة برسولهم ، وعملا بسنته .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإلى دليل آخر على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، يضيء لنا البصر والبصيرة ، لنرى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، واثقاً كل الثقة فى الله الذى ينصُر رسله .

* * *

بعد أن يئست قريش من إثناء محمد ، صلى الله عليه وسلم ، عن دعوته ، وفشلت فى إيقاف التيار الجارف للدعوة ، إذ لم تلن للمؤمنين قناة أمام سياسة التجويع والتعذيب ، والنفى والتشريد ، وبعد أن أيقن أعداء الإســـلام أن هذه السياسة من أكبر العوامل التى تزيد المؤمنين تمسكاً بمحمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ودينه وربه ، لم تجد قريش بُدًّا من تجربة الترغيب ، بعد أن أثبتت سياسة الترهيب عدم جدواها ، فأرسلت إلى سيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه من يعرض عليه المال والتطبيب والسيادة .. واختاروا لهذه المهمة « عتبة بن ربيعة » ، وكان يمتاز بالهدوء والرزانة وحسن التفاهم .. فتحدث إلى الرســول ﷺ بكل ما أوتى من فنون الــكلام ، وأساليب الترغيب ، مع جزالة اللفظ ، وتصوير الآمال والأمانى .

فتركه رسول الله صلى الله عليه وســـلم حتى فرغ من حديثه ، ثم تلا صدر سورة (فُصِّلَتْ) :

﴿ حمٓ ، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ *
كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *

HTTP://KOTOB.HAS.IT

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ﴾ (١)

حتى وصل صلى الله عليه وسلم إلى قوله تبارك وتعالى :

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ، فَقُلْ : أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً ، مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (٢) .

وفي رواية أخرى : أن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، تلا سورة (السجدة) :

﴿ الٓمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ، لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة فصلت : ١ — ٦ (٢) سورة فصلت : ١٣

(٣) سورة السجدة : ١ ـ ٣

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فلو كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه متشككا فى دَعْوَتِهِ ـ كما يَزْعُمُ الزاعمون ـ لَمَدَّ يَدَه إلى من جاءوا يُفاوضونه ، بعد أن ناصبوه العداء .

وأين كان أهل الكتاب فى هذا الوقت ، وقد أجمع المؤرخون شرقًا وغربًا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلتق بأهل الكتاب ـ من قريب أو من بعيد ـ إلا بعد الهجرة إلى المدينة ، وقد بدأت بوادرِ النصر للدعوة والداعية ، وأشرق نور الإسلام عزيز الجانب .

ولئن استغلّ المفترون أوامر الله عز وجل فى القرآن الكريم بحسن معاملة أهل الكتاب ، مما أغراهم أن يقولوا : إن محمداً صلوات اللهِ وسلامه عليه كان يحاول كسب أهل الكتاب إليه ، بالثناء على دينهم ، وامتداح ما جاء فى التوراة والإنجيل .

فإن كلمة الإسلام لم تعن العقيدة المحدودة الضيقة الشمول ، بل تعنى أن الدين واحد ، لأن الله واحد ، تعنى أن رسالة الإسلام هى الرسالة الجامعة للرسالات السماوية السابقة .

رسم الإسلام مبدأ التوحيد الخالص ، هذا المبدأ الذى رسمه لرسله من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومبدأ التوحيد الخالص الذى جعله الله عقيدة الأمم جميعًا ، صورته واضحة ، لا تشوبه شائبة بها .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ويتجلى هـــذا الموضوع بحسم وعزم فى سورة الإخلاص ، إذ يأمر الله رسوله الخاتم :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ الصَّمَدُ *

١ لَمْ يَـلِدْ وَلَمْ يُـولَدْ *

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

وهذه السورة التى قال عنها أكثر الشراح والمفسرين إنها خلاصة القرآن الكريم ، لأنها تتعلق بطبيعة الله وجوهره ، وترسم الصورة الحقيقية للتوحيـــد لله ، كما أنها دعوة لتوحيد فكرى وعقائدى بين السابقين واللاحقين

وبهذا يكون القرآن قد وضع القاعدة الأساسية إلى التفاهم المشترك ، كما دعا إلى الكلمة السّوِيّة ، التى توقف الانحراف عن دعوة الله الواحدة ، ودين الله الواحد :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ : تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إذن فالقرآن الكريم رسم طريقة جديدة للودّ .. إذ أن أعلى درجات الود لقوم ، هى دعوتهم إلى ما يُنجيهم من عذاب أليم ، ويدخلهم جنات النعيم ؛ فيكون هذا الود فى حدود ما رسم الله ، بدون مجاملة على حساب العقيدة أو الدين .. ولهذا استثنى الله سبحانه وتعالى الذين ظلموا بكفرهم وشركهم ، من المجادلة والمعاملة بالحسنى ، التى أمر المسلمين أن يجادلوا ويعاملوا بها أهل الكتاب :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ﴾ (١) .

ولأن ما بعث به محمد ؛ بعث به الرسل من قبل – عليه وعليهم الصلاة والسلام – كان لا بد أن تكون المودة لأتباع موسى وعيسى وهم أهل الكتاب المعاصرون لدعوة الإسلام ؛ فإن آمنوا فقد اهتدوا ، وإن تولَّوا فسلام لا نبتغى الجاهلين ، وهذا ما عبر الله عنه بقوله تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ، مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ ،

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٦

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ *
فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ، وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ،
وَقُلْ : آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ،
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ،
لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ،
اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وبهذا نرى أن روح الإسلام السمحة واستمداده الجدي للتفاهم المشترك ، جعله دعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بالله .

ولكن الإسلام يتميز – رغم سماحته هذه – بالحسم والثبات ، فلا يسمح لأنصاف الحلول مجالاً ، كما لا يسمح بأى اتفاق مع الكافرين ، أو المشركين ، أو اليهود أو النصارى على حساب المبدإ .. ويبدو هذا الحسم واضحاً إزاء هؤلاء جميعاً فى مواقف :

---

(١) سورة الشورى : ١٣ — ١٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(١) إزاء الكافرين ؛ موقف حاسم :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ *

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ *

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ *

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[١] .

(٢) إزاء المشركين ؛ تحذير منهم وإعراض عنهم ، فلا فائدة في محاولاتهم :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ،

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] .

(٣) إزاء من كفروا من اليهود ؛ لعنهم الله بكفرهم ، ولعنتهم رُسُلُهُمْ :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٣].

---

(١) سورة الكافرون (٢) سورة الأنعام : ١٠٦

(٣) سورة المائدة : ٧٨ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(٤) إزاء من كفروا من النصارى ، لأنهم ألّهوا المسيح عليه السلام ، وتبرأ المسيح - عليه السلام - منهم :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (١) .

(٥) أما المنافقون ، فإن الله قد فضح أمرهم ، وكشف عن نفاقهم وكذبهم وخداعهم :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ، قَالُوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ : إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٢) .

هذه أمثلة من الكتاب الكريم توضح الحسم ، وتردّ على الذين يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحاول كسب مودة أهل الكتاب ليدفع عنه الشك والريبة فى دعوته ، التى واجهت الكثير مِنْ عَنَتِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، الَّذِينَ فَنَّدَ الْقُرْآنُ مَوَاقِفَهُمْ ، بعد أن دعاهم بالحسنى .

---

(١) سورة المائدة : ٧٢ (٢) سورة المنافقون : ١

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وعلى سبيل المثال : نورد بعض الآيات التى كشفت عن مستورهم :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ :
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ :
لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ،
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ،
قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ،
يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا :
مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ،
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ،
وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٠
(٢) سورة آل عمران : ٧١
(٣) سورة المائدة : ١٥
(٤) سورة المائدة : ١٩

HTTP://KOTOB.HAS.IT

كيف يمكن القول بعد ذلك بأن الرسول كان يستنجد بأهل الكتاب ، وخاصة أن الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين منهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا :
إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ،
يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾[1] .

وفى الوقت الذى لا يُجامل فيه الإسلام على حساب المبدإ ، ولا يسمح بالتقارُب على حساب الدين والعقيدة ، نراه أيضاً لا يسمح بالعدوان أو التعصب الطائفى ؛ فالمسلمون مُطالبون دائماً بأن يحتفظوا بعلاقاتهم مع الآخرين ، بِسَعَة الأفق ، ورحابته ، وأن يتعايشوا مع الناس - على اختلاف عقائدهم - فى سلام .

ذلك لأن مبادىء الإسلام وقواعده ، هى من العموم والمرونة بحيث يستطيع المسلمون أن يواجهوا تغيرات أوضاع الناس فى مختلف المناطق والبيئات وفى كل العصور ، دون الخروج عن الخط العريض الذى رسمه القرآن الكريم ، ورسمته السنة الشريفة .

وهذا ما نراه فى القرآن ، وما شاهدناه فى تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته ..

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٠

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وبعد انتقاله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى ربه ، يشهد أنصار الإسلام وأعداؤه - على مر التاريخ - نماذج مشرقة للتعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم ، فى حدود الإطار الإسـلامى الرفيع ، الذى رسمه الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ ،
أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ،
إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *
إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ ،
وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ ، وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ ،
أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (1) ﴾ .

ونكتفى بهذا القدر . ونسأل القائلين :

هل لكم بعد هذا أن تقولوا : إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يستنجد بأهل الكتاب ؟

---

(1) سورة الممتحنة : الآيتان ٨ ، ٩

ونلاحظ أن هاتين الآيتين - حسب الترتيب التاريخى للقرآن الكريم - قد وردتا والمسلمون بأوج القوة بعد الهجرة إلى المدينة بسنين .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

حاشا لرسول مبعوث من الله أن يستنجد ببشر ، بعد أن قال الله ـ تبارك وتعالى ـ الذى بعثه :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ :
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ،
وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ،
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [1] .. ﴾ .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ... [2] ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَءامَنُوا
بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ،
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ [3] ﴾ .

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٦٧ (٢) سورة الفتح : ٢٨ ـ ٢٩

(٣) سورة محمد : ٢

HTTP://KOTOB.HAS.IT

محمد : صلى الله عليه وسلم

وعلماء الشرق والغرب

إن الذين يقرأون الكتابات الصادرة عن الحاقدين على الإسلام ونَبِيِّه ، يشعرون – من أول وهلة – أنهم يتخبطون فى أقوالهم ، وكل ذلك ليصلوا إلى إقامة الدليل على كذب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقد اتهموه بالكذب ، رغم تيقنهم من صدقه ، ولكنهم فيما يقرره الواقع المشهود منهم ، الشاهد عليهم ، ما بين مأجور ، وحاقد ، ومخدوع ، أو مُخادع !.. وكل هؤلاء مرضى القلوب والعقول ، لا خير فى جدالهم ، ولا طائل من وراء علاجهم !

ولكن لا مَناص من الرد عليهم ، وإن زاد ذلك مرضهم ، واستفحلت عِلَّتهم حتى يموتوا غيظاً وكمداً ، ولا يكون ذلك إلا على لسان الباحثين المُنصفين من أهل مِلَّتهم أنفسهم !

وبين يدى الآن كتب لمؤلفين ومؤرخين وكتاب وفلاسفة مسيحيين : شرقيين وغربيين .

فهذا كتاب « المسيح فى وُضوح » (Clear Christ) للمؤرخ الألمانى « لودفِج » (Lodfig) ، وقد جاء فى النسخة المترجمة للإنجليزية (الجزء الأول ص ١٧٣) ما نصُّه :

(ذهب وفد من مسيحيّي العرب الذين كانوا يسكنون يثرب إلى نبيّ العرب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ليناقشوه فى دينه الجديد .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وذكر المؤلف أسماء ثلاثة كانوا على رأس الوفد ..

الأول : « عبد المسيح » ، وكان أمير قومه ..

والثانى : « آثيثوس » ، وكان مسجل أصول الأسر ، وسلسلة النسب ..

والثالث : « ميتاؤوس » ، وكان أسقفاً وسط قومه يُشار إليه بالبنان .

وكان « ميتاؤوس » متعجرفاً .. ظهرت صورة عجرفته فى امتطائه ظهر بغلته ، وهو يحدث النبي ، صلى الله عليه وسلم ..

وفى جوار بغلته ، وقف أخوه « إيكوزناس » الذى استشاط غضباً لظهور معجزة لهذا النبى ، بأن غاصت أرجل بغلة « ميتاؤوس » فى الرمال ، مما جعله يوجّه ألفاظاً نابية إلى محمد ، ﷺ .

لكن « ميتاؤوس » عنّف أخاه « إيكوزناس » ، قائلا له :

« إن الكتب التى لدينا تقول إن هذا نبيّ !

ولولا شرفنا وخوفنا من ضياع هيبتنا بين الرومان الذين يُعينوننا بالأموال ، لاتّبعناه وبشرنا به بين قومنا » .)

وبالرجوع إلى كتب السيرة الإسلامية ، وجدنا أصلا لهذه القصة فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لابن هشام ، وزادت :

أن « إيكوزناس » أسلم ، وسمّى : « كوز بن علقمة » ، وبشر بما سمع من أخيه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وفى نفس الكتاب فى الصحيفة رقم ٣٠٨ من الجزء الثالث أن أحد الرهبان قال :

(إن صفات محمد ، صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى المحفوظات المختومة ، التى لا يمكن أن تكون فى تناول اليد) .

ولم يُشِر المؤلف إلى اسم الراهب ، ولا إلى اسم المكان الذى حفظت فيه هذه المحفوظات .

ولندع هذا المؤلف الضخم ، إلى كتاب : « محمد رسول الله : هكذا بشرت به الأناجيل » ، لمؤلفه المسيحى الشرقى المصرى « بشرى زخارى ميخائيل » ليسانس فلسفة من جامعة عين شمس . فقد جاء فيه تحت عنوان : محمد : وهل هو من عند الله ؟

(ما قيل فى حقّ القرآن ، قيل كذلك فى حق صاحب الشريعة نفسه ، فقد اتهموه بالكذب ، على الرغم من تيقنهم من صدقه واشتهاره به بينهم . وقصة تلقيبه بالأمين بينهم ، لا تخفى على أحد ..

ومحمد ، صلى الله عليه وسلم – كما شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء – كان المثل الأعلى السامى فى أخلاقه وتصرفاته وأفعاله ، وإن هذه التصرفات والصفات من أهم العوامل فى سرعة استجابة الناس لدعوته : التفوا حوله ، وأنسوا له ، واطمأنوا لبقائه ، وتغذّوا بالحديث معه !..)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ومما قاله المستشرق « سيبل » فى مقـدمة ترجمته لمعانى القرآن فى الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة عام ١٨٠٥ م ، ل :

(إنه كان ، صلى الله عليه وسلم ، حسن الوجه ذكياً ، وكانت طريقته مرضية ، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته ، وكان يُعامل الكلّ بالخلق الحسن ، وكان شجاعاً مع الأعداء ، وكان يعظم اسم الله تعظيماً قوياً ، وكان يشدد على المُفترين والذين يرمون الأبرياء بتهمـة الزنى ، وكذلك الزناة والقتلة والطامعين وشهود الزور - تشديداً بليغاً ، وكان كثير الوعظ فى الصبر والوُدّ والإحسان ، وتعظيم الأبوين والكبار ، وتوقيرهم وتكريمهم ، وكان عابداً مطمئناً للغاية ! . .

وقد ظهر بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم ، فقد كانت العرب قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم برسالته العامة قد انحدرت فى جاهليتها إلى الضلالة والجهالة ، لا يفقهون من أمر الحياة شيئاً ، ولا يُحسنون من العمل إلا الحروب والغارات لسلب الأموال وسبي النساء ، وكانت لهم عادات ذميمة وأفعال منكرة ! .)

* * *

لعل أصدق تصوير لحال العرب فى الجاهلية ، هو ذلك الذى قرره « جعفر بن أبى طالب » أمام « النجاشىّ » : ملك الحبشة ، حينما سأله عن دين الإسـلام ، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

يروى ابن الأثير (١) :

(قال « جعفر » : كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونقطع الأرحام ، ونأتى الفواحش ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوىّ منا الضعيف ! . . كنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه . . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد - نحن وآباؤنا - من دونه من الحجارة والأوثان . . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله :

فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حُرِّم علينا ، وحللنا ما أحلّ لنا . . فعدا علينا قومُنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث ! . . فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا ألّا نظلم عندك) (٢) .

---

(١) ص ٦١ جـ ٢ .

(٢) هذا ما نقلناه من كتاب رسول الله : هكذا بشرت به الأناجيل) لمؤلفه : بشرى ز:

HTTP://KOTOB.HAS.IT

هذا تصوير للجو الخانق ، والأباطيل والفساد ، والخطل العقل الذى عبد الأحجار والوثنيات ؛ حتى أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليبشر الناس بعبادة الله ، وتسفيه الوثنية ، والشرك والبهتان ، لإخراج الناس إلى حياة كريمة تتفق وكرامة الإنسان وتحرير العقل من قيوده وأغلاله .

وهذا ما حدا بـ « توماس كارليل » إلى أن يقول :

(قوم يَضْرِبون فى الصحراء ، لا يُعْتَدّ بهم عدة قرون ! . . فلما جاءهم النبي العربى ، صاروا قِبْلة الأنظار فى العلوم والمعارف ، وكثروا بعد أن كانوا قِلّة ، وعزّوا بعد أن كانوا أذلاء ؛ ولم يكد يمضى قرن واحد على الإسلام ، حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم ! . .)

* * *

ولنعد إلى كتاب « محمد رسول الله : هكذا بشرت به الأناجيل » للأستاذ بشرى زخارى ، ليقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

(. . صرّح فى أقوال كثيرة أنه قد سبقه رجال اصطفاهم الله لمثل هذه الدعوة لهداية الناس . . ولذا أُمر ، فقال :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ،

وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى ، وَلَا بِكُمْ ،

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إنْ أَتَّبِــعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ،

وَمَا أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1] .

* وحّد بَيْنَ الأجناس والعناصر والألوان ، فدعا إلى أُخُوَّة بشرية عامة ، لا تَفاضُل فيها لأحد على أحد ، إلا بالتقوى والعمل الصالح . وهذا ما دعا « دودلى » إلى أن يقول :

(أكان فى مقدور رجل – ما لم يكن نبيًّا –

أن يأتى إلى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ؟ !)

* حارب جميع العصبيات وأبطلها ، وحلّ جميع العقد النفسية وأزالها ، ووضع مكانها حب الخير والتعاون والبر والشفقة ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليلا من دلائل الخير فى الإنسان وللإنسان ،

ويقول صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ ،

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ ،

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ . »

* يسأله يوماً أعرابى فى بداوة جافة :

يا محمد : هل هذا المال مال الله ، أم مال أبيك ؟

ويبتدر « عمر بن الخطاب » الأعرابى بسيفه ، يريد أن يُجْهِز عليه !..

---

(١) سورة الأحقاف : ٩

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فيردّه النبي – صلى الله عليه وسلم – قائلا :

« دَعْهُ يا عُمَرُ . إنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقالًا . »

• يأتيه أعرابى ليبايعه يوم الفتح المبين – وهو فى قمة القوة – فتأخذ الأعرابى الرهبة ، فيرتعد بين يديه ! . .

فيقول له محمد – صلى الله عليه وسلم – فى بساطة أخاذة ، تردّ الطمأنينة إلى قلب الأعرابى :

« هَوِّنْ عَلَيْكَ ! لَسْتُ بِمَلِكٍ .
إنَّما أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كانَتْ تَأْكُلُ القَدِيدَ فِي مَكَّةَ . »

• يجعل السهر على مشاكل الناس ، والسعى لحلها ، عبادة . .

ويقول صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام :

« لَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حاجَتِهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِي هٰذَا شَهْرًا . »

* * *

ونعود إلى « توماس كارليل » ، ونصغى إلى ما قاله فى حقّ نبىّ الإسلام :

(إن من العار أن يُصغى إنسان مُتمدّن من أبناء هذا الجيل إلى وَهْم القائلين إن دين الإسلام كذب ، وإن محمداً لم يكن على حق !

HTTP://KOTOB.HAS.IT

لقد آن لنا أن نُحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ؛ فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان ، لملايين كثيرة من الناس .

فهل من المعقول أن تكون هـذه الرسالة ، التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت ، أكذوبة أو خديعة مخادع ؟ !

ولو كان الكذب والتضليل يرُوجان عند الخلق هذا الرّواج الكبير ، لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً ، وكان الأجدر بها ألا توجد ! . .)

ويسأل « كارليل » : (وهل رأيتم رجلا كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ، يتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟)

ويُجيب « كارليل » :

(إن الرجل الجاهل لا يستطيع أن يبنى من الطوب ، لجهله بخصائص البناء .. وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كَوْمُهُ من أخلاط هذه المواد . . فما بالك بالذى يبنى بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة ، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟ !

ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق « البنكنوت » ، فالصادقة منها تُتَداول بين الناس ولا تُثِير أقل شبهة ، والزائفة منها تخدع بعض الناس ـ مرة أو مرتين ـ ثم يفتضح أمرها ، وتُعرف أنها زائفة ، فتمزق شر ممزق !..

HTTP://KOTOB.HAS

كان « محمد » مثلا للإخلاص والوقوف بجانب الحق والعدالة ، فى كل ما يفعله ، وكل ما يقول ، وكل ما يفكر فيه .

كان دائماً فى تفكير ، محبًا للصمت ، لا يتكلم إلا إذا كان هناك ما يدعو إلى الكلام ! ..

وإذا تكلم كان حكيما فى أقواله سديداً فى آرائه ، مخلصاً الإخلاص كله ، يُلقِى النور على كل ما يُعرض عليه من الأمور ! . .

كان كريم الخلق ، قوى الإرادة والعزيمة ، ولم يفكر فى منفعته الشخصية : كان يفكر فى غيره من الفقراء ! .

ولم يكن مستبدًا فى أحكامه ؛ بل مثلا للعدالة فى الحكم ؛ يُنير الطريق لغيره ويُرشد الضالّ ، وينشر المحبة بين الناس . ولم يكن محبًا لنفسه ؛ بل كان محبًا لغيره ، أمينًا فى أداء رسالته .

وعلى ذلك فمن الخطإ أن نُعدّ محمداً رجلا كاذبا ، متصنعًا ، متذرعًا بالحِيَل والوسائل لغاية أو مطمع ! . والرسالة التى أداها ليست إلا الصدق والحق ، وما كلمته إلا صوت صادر من العالم المجهول ، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ! . .) .

ويقول « جونسون » فى كتابه « الديانات الشرقية » :

(إن التجاوب الطبيعى بين نظرة محمد الواسعة إلى الذات الإلهية ، وبين الجوّ الفسيح الذى كان يغدو ويروح فيه ، وهو التفسير الوحيد لما استقبل به المشاهد الهائلة التى رآها فى هدوء ورباطة جأش عجيبين !)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ثم يمضي قائلا : (ليس بمستغرب أن تخرج أعظم قوة فى ذلك العصر من فلوات الجزيرة العربية التى كانت الأمم حولها فى مَدٍّ وجَزر ، فقد كانت الصحراء على الدوام هى المكان الذى انبعثت فيها صيحات الأنبياء الذين جاءوا من عند الله .

لقد أضفى السيد المسيح على الجزيرة العربية معنى رمزيًّا ، حين آوى إلى البَرِّيَّة لمناجاة ربه ؛ ولكن محمداً جعل هذا الرمز معنًى حقيقيًّا ، فقد كانت الجزيرة العربية نفسها هى رجل الساعة ، وكان نبيُّ الإسلام كلمتها الجامعة ، إذ أفضت الصحراء بذات صدرها إلى ابنها الفَذّ الذى تحلى بتقاليدها الرفيعة ، ودفعه دافع باطنى قاهر إلى الخلوة فى ليلة طلعت فيها النجوم ، وهو يُصغى إلى حديثها ، دون أن ينبس ببنت شفة !..

لقد كانت حياته سِجلا حافلا برسالة جليلة الشأن ، لا يُعادلها فى جلالها شىء ، أدَّاها بكل نبل وإخلاص ، فنفخ الحياة فى شَعْب غارق فى سُباته ، وجمع شتات القبائل المتنازعة ، فخلق منها أمة يَحْدوها إلى العمل تطلُّعها إلى نعيم الأبد !.. وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من أنوار الهداية التى نزلت على قلوب الأنبياء ! . .
هذه هى الرسالة التى أداها ، وقد أداها بهمة وغيرة لا تعرف الأنانية !

ولقد آل الدين الذى دعا إلى التوحيد والمساواة على شواطئ الجليل إلى عبادة الإلٰه المتجسد . .

HTTP://KOTOB.HAS.I

أما نزيل « حراء » الذى ولد فى أمة تأصلت فيها عبادة الأوثان ، فقد استطاع أن يطبع فى نفوس القوم الذين سمعوا صوته ، عقيدة التوحيد والمساواة بصورة لا تمحوها الأيام ، وينبه الأذهان بصيحته الديمقراطية إلى إعلان الثورة على طغيان الكهنة والحكام ، وحطم نظام الطبقات والامتيازات الخاصة ، فى ذلك العالم الذى عادت فيه المذاهب المتنافرة ، والنظم الجائرة ، واشتدت فيه وطأة العقائد الباطلة على نفوس النشء ، وداس فيه أرباب المصالح المكتسبة على رقاب الناس ، ونفخ فى العناكب ـ التى نسجتها يد المصالح الذاتية فى طريق الإنسان إلى الله ـ نفخة واحدة ، فصيَّرها هباء منثوراً ، وألغى كل امتياز وخصوصية فى علاقة الإنسان بربه ، وأشاد هذا النبى الأمى ـ الذى بعثه الله لعامّة البشر ـ بقيمة العلم والمعرفة .)

ويخلص مؤلف كتاب « الديانات الشرقية » إلى القول بأنه مما لا شك فيه أن دعوته الدائمة لتحكيم العقل والوجدان ، ونظرته الديمقراطية الخاصة إلى الحكومة الدينية ، وعموم رسالته ، واعتقاده بأنه بشر : كل أولئك يدلُّ على الفرق الشاسع بين آرائه وآراء من تقدموه ، والشبه الكبير بينهما وبين آراء العالم الحديث ! .

ثم إن تاريخ حياته ورسالته واضح ، لا يكتنفه الغموض ، وشخصيته حقيقية ، لم تنسج من حولها قصة خيالية .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

أما « سير وليم موير » فيقول في كتابه « حياة محمد » :

(امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وأنه أتم من الأعمال ما يُدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مُصْلِحًا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة ، في زمن قصير كما فعل « محمد » ..

ولا عجب ، فمحمد صنع أمة ملأ ذكرها التاريخ ، وأحيا قوماً كانوا حُفاة ، ليس لهم حظ من علم ! . .

صنع أمة ، فملأ الأرض علماً ونوراً وعرفاناً ! .. وأدهشوا الأمم العريقة في الحضارة ، الراسخة القدم في العمران) .

ويقول اللورد « هدلي » :

(إن رسالة محمد إلهية صادقة لا رَيْبَ فِيهَا . هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، أوصى الله بها إليه ، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح ، كما كان محمدٌ يميل إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره والصدق والأمانة ، يعتقد أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة ، وأن الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر الله ، وكان غَيُوراً متحمساً . .

وكانت غيرته وحماسه لغرض نبيل ومعنى سام . ولقد كانت تعاليم « محمد » قليلة وبسيطة ، ولكنها أنتجت ثماراً عظيمة) .

HTTP://KOTOB.HAS.I

أما « أرنست رينان » ، فيقول فى كتابه : « تعليقاتى على تواريخ الأديان » :

(لقد دلّتنى تحرياتى العلمية والتاريخية ، على أنه لا صحة مطلقاً لما أُرِيدَ إلْصَاقه بالنبى محمد : من كذب وافتراء ، مصدرهما بعض المُبايِنات العُرفية ، والعادات القومية ، التى أراد بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها إلى الناحية التى تشفى سقام أذهنتهم الوقحة ، وتعصبهم. الذميم ، كقولهم : إنه كان يميل إلى التسيّد والسيطرة ! . .

مع أن محمداً ـ وكما أثبتت الوثائق التاريخية ، وشهادات أكابر علماء التاريخ ـ كان على العكس من ذلك ، بريئاً من رُوح الكبرياء ، متواضعاً أميناً ، لا يحمل الحقد لأحد ، وكانت طباعه نبيلة ، وقلبه طاهراً ورقيق الشعور) .

* * *

هذا التحرى الذى قام به « أرنست رينان » قليل من كثير أورده فى كتابه المستند إلى ما رآه من الحقائق العلمية ، والأمانة فى النقل من بُطون التاريخ ، يقف مشهراً سيفه فى وجه المزوّرين والمزيفين للحقائق العلمية والتاريخية ، فيفضح أمرهم ، ويسفّه أحلامهم ، ويكشف زيفهم ! . .

* * *

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وننتقل إلى رجل آخر من أهل الكتاب ، ليصف لنا محمداً صلى الله عليه وسلم . وإلى القارئ ما قاله المؤرخ « لين بول » :

(إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة ، كاللطف والشجاعة والكرم ، ومكارم الأخلاق ، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه ، دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر ، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير مَيْل أو هَوَى .

كيف لا ، وقد احتمل محمد عناء أهله وعشيرته أعواماً ، فلم يهن له عزم ولا ضعفت له قوة ! . . وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من مُصافحه ، حتى ولو كان المصافح طفلا ! . . وأنه لم يمر بجماعة دون أن يُقرئهم السلام وعلى شفتيه ابتسامة حلوة ، وفي نغمة جميلة كانت تكفي ـ وحدها ـ لتسحر سامعها ، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذباً) .

* * *

هذا إلى جانب ما تحدث عنه المستشرقون ، عن رحمة محمد صلى الله عليه وسلم بالأعداء ، وأن رحمته لم تقف عند الذين آمنوا به واتبعوه ، ولكنها تعدَّت ذلك إلى الذين حاربهم دفاعاً عن الدعوة ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فها هو المستشرق « أميل دير منجم » فى كتابه « حياة محمد » يقول : (إن محمداً قد أبدى فى أغلب حياته اعتدالا لافتاً للنظر ؛ فقد برهن فى انتصاره النهائى على عظمة نفسية ، قلّ أن يوجد مثلها فى التاريخ ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمُسِنِّين والأطفال والنساء ، وحذّرهم أن يهدموا البيوت ، أو يسلبوا التُّجّار ! . . أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة ! . . وأمرهم ألا يجرّدوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة ، بل لقد رأيناه يُؤَنِّب بعض قُوّاده ، ويُصلح أخطاءهم إصلاحاً ماديًّا ، ويقول لهم :

« إنّ نَفساً واحدة ، خير من أكثر الفتوح ثراء »[١] . .)

ويستمر الباحث « أميل دير منجم » ، فيوضح دستور الحرب عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

(إن الغنائم الحربية كانت فى هذا العهد (ما قبل الإسلام) النتيجة العامة لكل جهاد ؛ بل يمكن أن يُقال : إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان ، هى الصناعة الوطنية العربية . .

---

(١) هذا قول « أميل منجم » فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو وصف إن دلّ إنما يدلّ على رحمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا ليس بحديث نبوى شريف .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فأعلن محمد إباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم ، ولكنه حددها بقواعد دقيقة ، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش .. وأنه حذّر فى قسم الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم ..

إنه لم يكن ليستطيع أن يغير شعبه تغييراً تامًّا ، ولكنه نجح فى أن يُقَوِّمه فى نقاطٍ كثيرة !.

إنه شخصيًّا لم يكن إلا رجلا أُمِّيًّا خلواً من الثقافة تقريباً ، كجميع بنى جلدته فى عصره ، ولكنه كان يعلم أن الإله رحيم رحمة لا حد لها ، فأجهد نفسه فى أن يعلو على الطبيعة البشرية ، وأن يقهر فى نفسه الميول الانتقامية ! . .

وهو فى هذا يقول : كاد الحليم أن يكون نبيًّا .

إن قوة عبقَرِية محمد الإنشائية واتساعها ، وذكاءه العظيم ، ونظره الصائب إلى الحقائق ، وسيادته لنفسه ، وقوة إرادته وحكمته ، واستعداده للعمل ، وحياته الواقعية : كل ذلك يجعل الزيف فى مبدإ رسالته يستحيل القول به ، فكيف يتصور أن ينقلب كاذباً فجأة ، ذلك الذى يظهر نجاحه كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعوته ؟ !

وكيف يمكن أن يجرؤ على تشويه رسالته ، فى الوقت الذى كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإله ؟ !

هكذا نهض محمد صلى الله عليه وسلم لدعوة بنى جنسه إلى دين واحد ، هو دين الإله الواحد .. وليوقظ جزءا من آسيا وإفريقيا ..

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وليحرر من عبودية الجمادات كل الذين يفهمون رسالته الحقيقية .. ولكى يحرر بلاد فارس التى كانت تعيش فى نعاس كامل .. ولينعش المسيحية الشرقية التى شوّهتها المجادلات البيزنطية الخالية من الحماسة ، ومن الاعتقاد المجرد من الوحدة) .

وهذا عالم أوربى آخر يقف ، ليدال على صدق محمد ، وصدق دعوته صلى الله عليه وسلم ، فيقول الكاتب الإنجليزى « هـ . ج . ويلز » :

(إن من أقوى الأدلة على صدق (محمد) : كَوْن أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به ، فقد كانوا مُطلعِين على أسراره .. ولو شكّوا فى صدقه ، لما آمنوا به) .

ويقول الفيلسوف الروسى « تولستوى » :

(وخلاصة الديانة التى نادى بها محمد ، هى :
أن الله واحد ، لا إله إلا هو) .

وهذا الروسى « تولستوى » يستمر فى حديثه عن الإسلام ، ليوضح جوهر الدعوة الإسلامية ، وموقفها من تربية الإنسان الإيمانية ، فيقول : (ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة ، وإن الله رحيم عادل ، وإن مصير الإنسان النهائى متوقف على الإنسان نفسه ، فإذا سار حسب شريعة الله ، وائتمر بأمره واجتنب نواهيه ، فإنه يظفر بالقوة فى الحياة الدنيا ، ويؤتى أجراً حسناً فى الحياة الأخرى . . وإن كل شىء فى هذه الدنيا زائل ، ولا يبقى إلا الله ذو الجلال . .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإنه بدون الإيمان بالله وإتمام وصاياه ، لا يمكن أن تكون حياة حقيقية !.. وإن الله تعالى يأمر الناس بمحبته ومحبة بعضهم ، ومحبة الله تكون في الصلاة ، ومحبة الناس بمشاركتهم في السراء والضراء ، ومساعدتهم ، والصفح عن زلاتهم .

إن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يقتضي عليهم أن يبذلوا وسعهم لإبعاد كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية ، والابتعاد أيضاً عن الملذات الأرضية .. وإنه يتحتم عليهم أن لا يخدموا الجسد ويعبدوه ، بل يجب عليهم أن يخدموا الروح والجسد معاً .

و « محمد » لم يقل عن نفسه إنه نبي الله الوحيد ، بل اعتقد أيضاً بنبوة موسى والمسيح ، وقال : إن اليهود والنصارى لا يُكْرَهُونَ على ترك دينهم ! . وفي سِنِي دعوته ، احتمل كثيراً اضطهاد أهله وأصحاب الديانات القديمة ، شأن كل نبي مثله نادى أمته إلى الحق !..

ولكن هذه الاضطهادات لم تثن عزمه ، بل ثابر على دعوته في قوة وثقة وإيمان لا مثيل له في التاريخ !..

ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً من أعظم الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمات جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى مئات الملايين إلى نور الحق ، وإلى السكينة والسلام ، وفتح للإنسانية طريقاً للحياة الروحية العالمية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وإلهاماً وعوناً من السماء !)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وإذا كان « تولستوى » تحدث عن جوهر الدعوة الإسلامية ، فإن العالم المفكر « فيلبس جيبس » يبين مدى حاجة الإنسانية وما فعله الإسلام من أجل البشرية ، وأثر تعاليم الإنسان فى تقدم الفرد وبناء المجتمع الإنسانى ، فيقول :

(لقد فعل الإسلام للنهوض بالإنسانية والمدنية ، ما لم تفعله أى ديانة أخرى منذ بداية الخليقة . . . ولا يزال الإسلام قوة كبيرة . .

ولولا التعاليم الإسلامية المثالية المطلوبة ،

لعادت البشرية بلا ريب إلى العصور الوحشية المظلمة) .

وإذا كان يحلو لبعض أعداء الإسلام أن يقولوا ويتشدقوا بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نشر دينه بالسيف والقوة ، وأن الحرب كانت قانون الإسلام ودستوره ، وأنه فُرِض على من اعتنقوه فرضاً بالقوة ، فإننا نقول لهم :

إن الإسلام وضع المبدأ القرآنى الكريم ،

فى آيتين من آيات الكتاب العزيز :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١) .

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن ، وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٢) .

وقد سخّر اللهُ من بين أهل الكتاب ، من يردّ على القائلين إن الإسلام انتشر بالسيف ..

---

(١) البقرة : ٢٥٦ (٢) الكهف : ٢٩

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إذ يقول « كارليل » فى كتابه عن « الأبطال » :

(لقد قيل كثيراً فى نشر محمد صلى الله عليه وسلم دينه بالسيف . فإذا جعل الناس ذلك دليلاً على كذبه ، فشدّ ما أخطأوا وجاروا ! فهم يقولون : ما كان الدين لينتشر ، لولا السيف . ولكن ما هو الذى أوجد السيف ؟ هو قوة هذا الدين ، وإنه حق ! . .

فالرأى الجديد أول ما ينشأ ، يكون فى رأس رجل واحد ، فالذى يعتقده فرد واحد دون العالم أجمع . . فإذا تناول الفرد سيفاً ، وقامت الدنيا فى وجهه ، فإنه لا يصنع شيئاً !.. وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة حسبما تقتضيه الحال : أو لم تروا أن المسيحية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحياناً ! . .

وحسبكم ما فعل « شارلمان » بقبائل « السكسون » . .

وأنا لا أحفِل : أكان انتشار الحق بالسيف ، أم باللسان ؟

فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ! . . لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها ، فإنها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يُهزم ، وليس فى طاقتها قط أن تفنى ما هو خير منها ، بل هو أحطّ وأدنى ! . .)

إلى أن قال : (وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون ، وأمسكوه بقلوبهم النارية ، لجدير ـ حقاً ـ أن يكون ، وجدير أن يصدق به . وإن ما أودع هذا الدين من القواعد ، لهو الشيء الوحيد الذى للإنسان أن يؤمن به ، وهذا الشيء هو : روح الأديان . . .)

HTTP://KOTOB.HAS

وفى موضع آخر يقول « كارليل » فى نفس الكتاب :

(وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك طوائف النصارى
تهيم أسواق الجدال ، وتتخبط بالحجج الجائرة . .
وماذا أفاد ذلك ، وماذا أثمر ؟ لا شىء !
أما كان الأهم بدلا من ترتيب القضايا المنطقية ،
أن يكون خَلْقُ الله جميعاً يعتقدون تلك الحقائق . . ؟)

إلى أن قال :

(لقد جاء الإسلام على تلك الملل والنِّحَل الكاذبة ، فابتلعها !
وحُقّ له أن يبتلعها ، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة !
وما كاد يظهر الإسلام ، حتى احترقت وثنيات العرب ،
وجدليات النصرانية ، وكل ما لم يكن بحقّ ،
فإنه حطب ميت أكلته النار التى أوقدها الإسلام ،
فذهب الحطب ، وتحولت النار إلى نورٍ باقٍ خالد) .

ويقول « كارليل » فى موضع آخر (١) :

(يزعم الأفاكون الجهلة أن محمداً مشعوذ دجال ومحتال !
كلا ، ثم كلا . ما كان قطُّ ذلك القلبُ ـ المحتدمُ الجياش
كأنه تنُّور فكر يفور ويتأجج ـ ليكون قلبَ محتال مشعوذ ! . .
لقد كانت حياته فى نظرى حقاً !.. وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة !

(١) فى المصدر نفسه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إن مُثُل الإسلام تُوحِينا فى محمد أخاً للإنسانية : أخانا جميعًا ـ الرءوف الرحيم الشفيق ، وابن أمّنا الأولى وأبينا الأول .)

ويظهر « كارليل » إعجابه بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول [1] :

« وإنى لأحبّ محمداً ، لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القِفار هذا رجلا مستقل الرأى ، لا يقول إلا على نفسه ، ولا يدّعى ما ليس فيه ! .. ولم يكن متكبراً ، ولكن لم يكن ذليلا ، فهو قائم فى ثوبه المُرقّع ، كما أوجده وكما أراده ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصِرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة ، وللحياة الآخرة ، وكان يعرف لنفسه قدرها ! . ولم تخل الحروب الشديدة التى وقعت مع الأعراب من شاهد قسوة ، ولكنها كذلك لم تخل من دلائل الرحمة والكرم والغفران ، وكان محمد لا يعتذر عن الأولى ، ولا يفتخر بالثانية !... »

ويمضى فيقول [2] : « وما كان محمد بعابث قط ، ولا شابَ شيئاً من قوله شائبة لعب ولهو ؛ بل كان الأمر عنده أمر خسران أو فلاح ، ومسألة فناء أو بقاء ، ولم يكن إزاءها إلا الإخلاص الشديد والجد ..

فأما التلاعب بالألفاظ والقضايا الموضعية ،
والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط !...)

(١ و ٢) نفس المصدر .

HTTP://KOTOB.HA

ويختم « كارليل » قوله :

(وفى الإسلام خلة أراها أشرف الخلال وأجلها ، وهى التسوية بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظريات وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحــة بجميع دلائل الأرض والناس جميعاً ، والناس فى الإسلام سواء ... »

ولنتساءل بعد الذى أوردناه : كيف انتشر الإسلام ؟

والجواب : إن الإســلام انتشر ، حين رأى الناس الحرية التى يبحثون عنها ، فوجدوها فى الإسلام ، بعد أن طال بحثهم عنها قروناً طويلة ، تخبّط فيها الإنسان بين الأديان التى جعلت منه كائناً مُسَيَّرًا ، غير مخير :

مرة يخضع لإله الخــير ، ومرة يخضع لإله الشر !.. ومرة يقع بين يدى إله النقمــة فيُحاسَب على ذنب غيره ! . . ومرة هو رهن برضاه النجوم والـكواكب ، ووفقاً لما تشير به الـكهنة ! . .

وهذا فى الأديان القديمة . .

أما فى الأديان السماوية التى انحرف بها أتباعها وكهنتها :

هل الإنسان من ذرية يعقوب فتشمله النعمــة ، أم هو من أتباع عيسو فتحلّ عليه اللعنة ؟ ! ذلك لأن الرب يهوه إله يفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث) .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

مما جعل الإنسان ـ بين دم أزرق ودم أبيض ـ يعيش فى حيرة متسائلا : من أى فصيلة دمه ؟ ! مما أدخل عليه اليأس ردحاً من الزمن عاش فيه سليب الإرادة ، أسيراً لآراء الكهان والترفانا ، وإله النور ، وإله الظلام ، والنجم السعيد ، والنجم المنحوس ، تحت رحمة نمسيس : ربة الثأر ، ينتظر على أحرّ من الجمر تقرير مصيره ، على يد محكمة إيزيس وأوزوريس ... (١)

وظل الإنسان غريبًا عن نفسه وكيانه يتخبط ، حتى وصل إلى عبادة الفرد الحىّ والصنم المنحوت ، والإله المسبوك ، والرب المأكول !.. عقله أسير مكبل بقيود فى ظلام دامس !..

حتى أشرق نور الإسلام ، وتحرر العقل والوجدان ، وتفتحت بصيرة الإنسان على دين تعاليمه واضحة جليـــة ، وعقيدته السمحة تهب لهذا الإنسان الحرية ، وتُعيد إليه اعتباره وكرامته .

وبمُثل الإسلام العليا ، خرج الإنسان من ذل الاستعباد الدينى ، إلى العزة والمجـــد ، واستعاد ذاته وكيانه ، واستردّ عقله بعد أن أزاح عنه الحُجُب .

هذا هو محمـــــد ، وهذه هى رسالة محمد .

اللهم صَلِّ على محمد النبىّ الأمىّ الذى أخرج الناس

من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم ،

وهداهم إلى صراط مستقيم ، وسلم تسليماً .

---

(١) انظر إلى كتاب : « الأديان فى كفة الميزان » للمؤلف .

HTTP://KOTOB.HAS.I

الفلاسفة والمؤرخون مع القرآن الكريم

كما بلغ الحقد والتعصب بأصحاب النفوس المريضة ، أن يُشككوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما خُيِّل إليهم أنهم قادرون على هدم نبوة الرسول ـ عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ـ تطاولوا مخدوعين ليقولوا للناس : إن القرآن ليس من عند الله ، يهدفون بقولهم الكاذب صَرْفَ الناس عن القرآن الكريم ؛ وبذلك يكونون قد قضوا على فكرة النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم . ذلك لأن القرآن الكريم بإعجازه لأكبرُ دليل ؛ بل وأعظم الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن الله خيّب آمالهم ، وردّ كيدهم في نحورهم ، فكذبوا ! . وصدق الله العظيم :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاؤُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * ﴾ (١) .

---

(١) سورة الشعراء من ١٩٢ ـ ١٩٩ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولكى يُقيم الله الدليل على الحاقدين ، فيرتدّوا على أدبارهم خاسرين ، يُسخر ألسنة وأقلاماً من غير المسلمين ، لتكون شهادتهم سهاماً فى حُلوق أعداء الله ، وأعداء محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعداء الإسلام ! . . وهاهم فلاسفة الغرب ومؤرخوهم يشهدون . .

ولنبدأ بقول قِسٍّ فرنسى شهير هو « لوزان » ، وقد خطب خطبته الجامعة في دار الأوبرا فى مصر فى ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ م .

وهاك طرفاً منها :

(ولا يخفى أن المسيحيين - بوجه عام - لا يعرفون الإسلام .

بل وكثير من المسلمين قليلو المعرفة بدينهم ! . .

أو هم يعرفونه على غير وجه الحق ! . .

وحينئذ فلابد للوصول إلى حقيقة هذا ، من الرجوع إلى أصله . .

إن الذين قالوا : إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، هو واضع الإسلام ، إنما يفترون) . واستشهد بقول الله - عز وجل - :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة يونس : ٣٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إلى أن قال :

(ولقد كان إبراهيم وإسماعيل بحكم القرآن مسلمين ورسولين ، وهما أصل العرب . ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سليل إبراهيم وإسماعيل ، وبُعِث للعرب رسولا ، أى من جنس العرب ، ولم يكن نبي العرب فحسب ، بل هو نبي قال بوحدانية الله .

فإن دين موسي ، وإن كان من الأديان التى أساسها التوحيد ، إلا أنه كان دينًا قوميًا محضًا وخاصًا ببنى إسرائيل ، ولم يكن التعبد عليه ممكنًا إلا فى بيت المقدس .

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين ، وهما : الوحدانية ، والبعث .. وقد أعلنه لجميع البشر فى أنحاء العالم .. وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسانية جملة وتفصيلا عند من يدرك غايته ؛ فالديانة الإسلامية المحمدية إذن ـ مع كونها من بعض الوجوه خاصة بالعرب فى عصر ظهورها ، كما يزعمون ـ فإنها للنوع الإنسانى : الديانة العامة الخالدة) .

وقد خطب هذا القسّ خطبة أخرى جامعة فى عاصمة تونس فى نفس العام ، نقتبس منها :

(لقد جلّ نور الحكمة : حكمة القرآن الذى أنزله الله
على صدر نبيه المبعوث ـ لا محالة ـ لإرشاد الناس ،
والله يعلم حيث يجعل رسالته .)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ثم يقول : (محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا التباس ولا نكران ، هو من النبيين والصديقين ، أمكنه ــ بإرادة الله ــ تكوين المملكة الإسلامية ، وإخراجها من العدم إلى الوجود ، بما جعل أهلها يدوسون سلطة الرومان ، ويقطعون دابر أهل الضلال ! . .

وأريد أن أزيدكم إيضاحاً بأن أقول : إن مبنى النصرانية شيئان ، هما : بنوة عيسى ، ووجود الخالق سبحانه وتعالى ..

ففى الأولى يقول المسلمون كلاماً معقولا ، هو أن المسيح ليس ابناً لله ، وإنما هو روح من الله ، لأن الله :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

أما الشيء الثانى الذى هو وجود الخالق وتنزيهه عن النِّدّ والنظير ، مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية ، فالإسلام والنصرانية فيه سواء .. سِوى أن المسلمين لما عرفوا جلال الله وقدره ، وعرفوا أنه القادر على كل شيء ، بسطوا أكُفّ الضراعة ، وأقروا بعجزهم ، وطلبوا الرحمة منه والغفران والعافية فى الدنيا والآخرة .

والنصارى جهلوا خالقهم ، وزاغوا عن الطريق المستقيم .. ولذلك نجد المسلمين فى رفعة عن النصارى من هذه الحيثية ، فلا ترى واحداً فيهم يكفر بالله . وما اهتدى مئات الملايين إلى الإسلام إلا بفضل محمد الذى علمهم الركوع والسجود لله ، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا بعده أبداً : ألا وهو القرآن الكريم ، الجامع الصالح ، لدنياهم وأخراهم) .

HTTP://KOTOB.HAS

هذه الحقائق التي نطقت وحدها ، وجعلت أحد القساوسة العظام العالميين ينطق بها ويبشر بها ، هى التى أرغمت « كاين تيلر » أكبر المشجعين للتبشير المسيحى فى قارتى أفريقيا وآسيا ، والمشرف على إرساليات تبشيرية عديدة خلال القرن الثامن عشر على أن يلقى خطبة..

أصحبك أخى القارئ ، لنستمع إلى الخطبة التى ألقاها الحاقد على الإسلام فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٨٨٧ م فى جمع حاشد من المبشرين بالمسيحية فى اجتماعهم السنوى « بدمشق » (١) يقول :

(إن الإسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة فى أكثر جهات العالم ، وليس فقط من جهة المسلمين الذين كانوا وثنيين وأسلموا أكثر من الذين تنصروا ، كلا بل لأن النصرانية فى بعض الجهات أخذت فى التقهقر إلى الوراء أمام الدين الإسلامى ، بفضل الدستور الذى جاء به « محمد » ، حيث إنه مقنع مشبع ، فى حين أن الوسائل التى نستغلها للتنصير فى الأمم الإسلامية تفشل ويفشل أمرها ، والشباك التى ننصبها تتقطع حبالها ، وإننا لا نرجع فقط بصفقة المغبون ، بل ربما خسرنا رأس المال ، ويصدق علينا قول من قال : جنت على نفسها براقش) .

---

(١) نشرت هذه الخطبة بمجلة « النور » التى تصدر ناطقة باسم الكنيسة السورية بالعدد رقم ٥٢ الصادر فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٨٧ م

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولعل قول هذا الحاقد لا ينسينا أن كثيراً من علماء المسيحية العقلاء الذين بلغوا شأواً من النزاهة العلمية والأمانة التاريخية والحياد العقلى ، يتأففون من الذين يملأ الحقد قلوبهم ، ويعميهم التعصب عن جلال القرآن ، فيحاولون النّيل منه ، والنيل من النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى نزل عليه القرآن الكريم .

ولهذا نرى الدكتور « موريس الفرنسي » ، وهو أحد كبار المستشرقين ، وضليع فى اللغة العربية ، وواقف على آدابها وأسرارها ، وقد كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة معانى القرآن إلى اللغة الفرنسية سنة ١٩١٠ م .

وها هو يردّ على صحفى متعصب يسمى « ريناش » نشر مقالا يتهجم فيه على القرآن الكريم فى جريدة « لابارو فرنسيز رومان » فى مايو ١٩١٣ م .

يقول الدكتور « موريس » :

« لقد قلقت واضطربت حواسّى ، لتهجم « المسيو ريناش » على القرآن الكريم !.. إذ لو جاز لامرئ غير مسلم أن يرتاب فى صدق القرآن وصحة دعواه ، فلا يجوز له أبداً أن يرتاب فى صحة عبادته ، وكونه فى الذروة والسّنام من الفصاحة والبلاغة . ومن لم يسلم بهذا ، كان مخطئاً ، بل كان متهماً فى إخلاصه ، وإن شئت قلت : فى عقله ! . .

HTTP://KOTOB.H

إن كان القرآن صفة لا يشوبها نقص ، فهي الفصاحة والبلاغة ، وإن كان له مزية عظمى يفتخر بها ثلاثمائة مليون من البشر (١) فهي استعلاؤه على سائر الكتب السماوية ، من حيث بلاغة مبانيه وكمال معانيه ، بل لنا أن نقول :

إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية للبشرية . .

ومن أجل ذلك نرى رجال الطريقة الراقيـة فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب واقتباساً لآياته ، يزينون به كلامهم ، ويبنون عليه آراءهم ، كلما ازدادوا رفعة فى القدر ونباهة فى الفكر .

لقد وطّن هؤلاء القوم نفوسهم على حب نبيهم - صلى الله عليه وسلم - الذى نزل عليه القرآن الكريم ، إذ ما كان لأمىّ أن يصل إلى صنع كتاب كالقرآن ، فيه غنى عن كل كتاب .

لهذا ما خطر للمسلمين أن يفكروا قط فيما أوتيت الأمم الأخرى من كتب أو شرائع ، فقد رأوا فى كتابهم غِنًى عن كل شىء ، من كتاب أو شريعة .

ويدلّك على ذلك أنك ترى كبار الكتاب والقراء الإسلاميين يطأطئون رءوسهم أمام بلاغة كتابهم ، ويكادون يسجدون لعجائبه التى تتجدد ، وأسراره التى لا تنفد ، ويعدّونه فخرهم الباقى - إلى أن تنتهى الأزمان - وبحرهم الزاخر بفصيح الكلام ورفيع المعانى ! . .

---

(١) لعل هذا الرقم هو تصوره - آنذاك - لتعداد المسلمين فى العالم .

HTTP//KOTOB.HAS.IT

وكنت أتمنى « للمسيو ريناش » أن يتمهل فلا يحكم على القرآن حكمه القاسى ، ريثما تتم ترجمتى [١] له ، فيعرف مبلغ عظمته) [٢] .

ولم تقف الإشادة بالقرآن الكريم عند الفرنسيين فحسب ، بل نجـــد فى علماء الغرب ـ فى كل مكان منه ـ من يقف مشدوهاً أمام عظمة القرآن ، ولا يسعهم جميعاً إلا الاعتراف بأنه تنزيل من رب العالمين .

فها هو « جوته » كبير أدباء الألمان وشاعرهم العظيم يعكف فى فرانكفورت عام ١٧٧٢ ميلادية على تلاوة فى ترجمة ألمانية للقرآن الكريم أنجزها ـ يومئذ ـ ابن بلدته المستشرق العلامة « مرجرلين » ، حتى إذا فرغ منها ، عكف من بعدها على تلاوة القرآن فى ترجمة لاتينية سابقة للترجمة السابقة ، طبعت فى مدينة « بادوا » بإيطاليا . .

وما إن أتم « جوته » تلاوة معانى القرآن فى الترجمتين ، حتى اختار بعض الآيات القرآنية ـ نقلا عن الترجمة الألمانية ـ واتخذها أناشيد حيَّة لربه ، وترانيم عبادته ، وأنغام روحه ، ومجال تدبره وتفكره !..

---

(١) هذا ما استطعنا أن نقتطفه مع التلخيص والتصرف من رد الدكتور « موريس » على « ريناش » . وذلك من ترجمة الرد على خمس صفحات من الجريدة الفرنسية الصادرة فى التاسع من مايو سنة ١٩١٣ م .

(٢) لا يستطيع « موريس » أو غيره ترجمة القرآن . إنما من الجائز ترجمة معانيه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وكأنى أسمعه الآن ،

وهو يقول فى « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » :

(إن القرآن يردد قواعد هـذه التعاليم ـ التى استنبطها من الآيات التى اختارها ـ ويكرر البشير والنذير فى سورة بعد سورة ، لأن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، لم يُرسل برسالة شاعر للتفنن فى القول ، والتنويع فى ضروب الكلام ، وعرض الصورة المزوّقة من الأخيلة والأوهام ، لاستحداث اللذة وإدخال الطرب ، بل هو ـ بنصّ القرآن ـ بعيد عن هذا الوصف .

وإنما محمد ، صلى الله عليه وسلم ، نبيّ مرســل لغرض محدد ، بِقَدَر مرسوم ، يتوخّى إليه أبسط وسيلة وأقوم طريق ، وهذا الغرض هو إعلان الشريعة ، جمع الأمم حولها ، لينضووا تحت لوائها . . . فالكتاب المنزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إنما بُعِث به إلى الناس كافة ، ليقتضيهم الخشوع والإيمان ، لا لمجرد المتعة والاستحسان ، بل يقتصر منه على مكان الحكمة ومضرب الأمثال ومواضع الاعتبار) .

فإذا أضفنا إلا ما سبق ، ما نقرؤه الآن وننقله من كتاب « الأبطال » للعلامة المستشرق « كارليل » ، نكون قد أشركنا القارئ معنا فى الوقوف على ما كتبه علماء الغرب والشرق الذين يردّون على سخافات القوم ، إذ يقول هذا المستشرق :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(إذا أُتيت مرة بهذا القرآن الحسن ، ترى كِناياته الجوهرية تأخذ في الظهور ، وتكشف عن مُحَيّا بيانها بنفسها ! . . وفى هذا من الفضل العظيم ما لا يوجد فى كتاب على . . ولقد يكون لبعض الكتب المؤلفة شيء من التأثير على الأذهان ، إلا أن التصانيف والمؤلفات ليست بشيء يُذكر بجانب ذلك الكتاب .

وإن الإنسان ليقول : إن مزايا القرآن الأوليـــة ، وأركانه الأساسية إنما هى من صحته وحقيقته ، وســـلامة مبانيه ، ومن الفضل الذى هو أول وآخر الفضل ، وجود كتاب تأتى فيه جميع الفضائل على اختلافها ، بل هو الكتاب الذى يُقال عنه فى الختام : « وبه فليتنافس المتنافسون » .. لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة) .

وفى موضع آخر فى معرض حديثه عن القرآن الكريم ، يقول :

(ولو رجعنا إلى ما أوضحه العلماء والحكماء عن النبوة ، ولم يقبله المتكلمون ، لأمكننا الوقوف على حالة مشيِّد دعائم الإسلام ، وجزمنا بأنه لم يكن مبتدعاً أو من من المبتدعين) .

ونتساءل : كيف أثبت « كارليل » أن محمداً ،
صلى الله عليه وسلم ، لم يكن من المبتدعين ؟

نجد الإجابة واضحة فى كتابه : « محمد » ، إذ يقول فى الصحيفة رقم ٢١٩ بالحرف الواحد :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(وكما قال « إيوالد » - مؤرخ يهودى - عن أنبياء بنى إسرائيل ، فإننى أعتقد أن روحاً من الله استولت عليه (على محمد ، صلى الله عليه وسلم) وعلى لُبِّه ، فلم يعد يشعر بأن له فكراً خاصًّا ، بل إنه أوتيه من عند ربه ، واختفت فى نظره أنانيَّته ، ولم يعد يسمع غير صوت فوق ذاته ، ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل : هل كان ذلك فى الحلم ؟ أم كان فى غيبوبة فى عالم التصورات الإلٰهية ؟

إن موضوع هذه الحقيقة لا يغير المسألة ، لأن الصدق واضح ...) إلى أن قال : (ولقد نعلم أن الصوت الذى كان يسمعه نبى المسلمين شبيه بالذى سمعه الأنبياء من قبله . هذا الصوت الذى قال له :

﴿ يَـٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * ﴾ (١) .)

إلى أن قال : (ومن ذلك الحين ، أخذت شفتا « محمد » تنطلقان بألفاظ بعضها أشد قوة ، وأبعد مرمى من بعض ، والأفكار تتدفق من فمه على الدوام ، إلى أن يقف لسانه بطبقة الصوت ، ولا يجد من الألفاظ ما يعبر عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان ، وسما عن أن يترجمه إنسان ، بقلم أو لسان .

---

(١) سورة المدثر : من ١ — ٥ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية ، فظن بعضهم أن به جنة ، وهو رأى باطل لأنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بدأ رسالته بعد الأربعين ، ولم يُشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم ، أو أى اضطراب فى القوة البدنية أو العقلية . . .)

إلى أن قال : (وليست حالة « محمد » فى انفعالاته وتأثراته بحالة ذى جنة ، بل كانت مثل التى قال بنو إسرائيل فى وصفها : « لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلعى ، وارتعشت منى العظام ، وصرت كالنشوان عند سماع الله وأقواله المقدسة » .)

والآن ننتقل إلى عالم أوربى آخر هو القانونى الشهير « جيبون » حيث يقول ، فى كتابه « الرسالات الإنسانية والقانون » :

(القرآن مُسَلّم به من حدود الأوقيانوس الأتلانتيكى إلى نهر الجانجى بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فحسب ، بل للأحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة الإنسان وترتيب شئونه ..

وبعبارة أخرى هو القانون للعالم الإسلامى ...

وإن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً ، فهى شريعة جمعت ما بين الدين والدنيا ، بما لا يوجد مثله فى العالم !.. وعلى ذلك فالقرآن يختلف ماديًا ومعنويًا عن الكتب المسيحية المقدسة التى ليس فيها شىء من الأصول الدينية ، بل هى فى الغالب مركبة من قصص وخرافات ، وتخبّط واضح فى الأمور التعبدية) .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وها هو « السير وليم موير » - برغم شهرته بالتعصُّب ضد الإسلام - يقول فى كتاب « حياة محمد » :

(القرآن كتاب فياض بالحجج ، كثير البراهين المنزلة من جانب القدرة الإلهية ، لإقامة الدليل على وجود الله ، وعلى أنه له الحكم الأعلى والسلطان الأكبر ، القادر على إنفاذ أحكامه الجليلة على الإنسان ، وبيان وجوب المكافأة على العمل الصالح ، والقصاص على الخبث فى العالم الآتى ، ووجوب اتباع الفضيلة واجتناب الرذيلة ، وأن طاعة الخلق للخالق ، وعبادته والسجود له هى سعادتهم).

وهكذا أمثال هذه النبذ الواضحة بعبارات الرقة والانسجام ، والفياضة بالبلاغة الحقيقية التى أشار إليها « واشنطن إيرفج » بقوله فى عبارتين موجزتين ، ولكنهما أبلغ من كل ما قيل :

(القرآن فيه قوانين زكية ، سنية ، بهية) . .

(يحوى القرآن أسمى المبادئ) .

إذن فعلى القائلين - بأن القرآن مُشتَقٌ من الإنجيل : الكتاب الأم ، وأن محمداً تعلم على يد حَبْر يهودى - أن يرجعوا إلى الكتب التى أشرنا إليها وأخذنا منها مقتطفات حسبما اتسع المقام .

وعليهم أيضاً أن يقفوا معنا ، لنسمع هذا الكاتب المسيحى الشرقى « بشرى زخارى » فى كتابه : « محمد رسول الله : هكذا بشّرَت به الأناجيل » تحت عنوان (إثبات أن القرآن كتاب سماوى) ، فننقل قوله بإيجاز :

HTTP://KOTOB.HAS.IT

(القرآن هو كتاب الإسلام الذى أنزله الله على النبى « محمد » ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليجد فيه المسلمون نظام حياتهم ، وصلاح أمورهم فى الدنيا والآخرة . وقد تعرّض القرآن ـ منذ أقدم العصور ـ لمطاعن ومُفتريات وشُبَه واتهامات ، قُصِد بها التشكيك فى صحته ، وفى إعجازه ، وفى صُدوره عن الله !..

إن موقف أهل الكتاب من القرآن لموقف مضطرب ، إنهم حين يجدون فى بعض آياته ما لا يرضون عنه يقولون : إنه من عمـــل محمد ، أو تَلَقِّيات تلقَّاها « محمد » من بعض الرهبان ، وإن محمداً سار بقرآن فى الطريق الذى يتفق مع تقديره وتدبيره للخطط التى أعدّها ، وعمل لها حساباً فى فترة طويلة من شبابه ، قضاها فى الرياضة والخلوة ، ومُدارسة أهل الكتاب !..

ذلك على حين أنهم إذا رأوا فى القرآن ما يرضون عنه ، أو ما يقيم لهم حُجّة أو يضع بين أيديهم شبهة فيه ـ حسبما ترى عقولهم ذات التعصب الأعمى ـ تمسكوا وجادلوا فيه ، وجعلوه مستنداً للأمر الذى يعنيهم .

وهذا موقف أقل ما يوصف به أنه مجافٍ للإنصاف ، إذ لا منطق له : ذلك لأن القرآن كيان واحد .. إما أن يُقبل كله ، أو يُرفض كله .. فهو إما : حق أو باطل ! سماوى أو أرضى ! من عند الله أو من صنعة بشر !.. وهذا ما نريد أن نصل إليه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولكى نبلغ الغاية التى نريدها ، يجب أن نقف موقفًا حِياديًا ونسأل : هل القرآن من عند الله ؟ أم أنه ليس من عند الله ؟

والإجابة على هذا السؤال ، ينبغى لنا أن نستعرض بعض ما ورد فيه ، وهل هو مخالف لما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل ، أم أنه يتفق معها من حيث الجوهر والمضمون ؟

فإذا اتضح لنا أن مضمونه لا يحتوى أية صُدفة ،

وليس فيه ما ينقص طمأنينة العقل أو يريبها ،

فلا مَفَرّ إذن من الإقرار بصدقه ، وأنه من عند الله) .

واسترسل الكاتب « بشرى زخارى » فى ذكر ما انطوى عليه القرآن من الوحدانية لله ، والصفات الكاملة لله ، والإيمان بالله واليوم الآخر ، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى ، ووحدة الرسالات الإلهية ووجوب الإيمان بالرسل السابقين ووحدة الجنس البشرى ، والمساواة بين الناس ، وألا تفاضل بينهم إلا على أساس إيمانهم وكفايتهم وأعمالهم ، والقضاء على الرق والعبودية ، وحسن المعاملة والتسامح من غير ضعف ولا ذلة ، ورعاية الأيتام ، وحسن المعاملة لغير المسلمين ، وإلى مكارم الأخلاق والحدود والقصاص والعفو عند المقدرة ، والتربية الاستقلالية للفرد والمجتمع ، والدعوة إلى التكافل الاجتماعى ..

إلى أن انتهى بالأدلة والآيات التى تثبت :

أن القرآن دستور إلـهى من عند الله عز وجل .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ثم يقول فى النهاية :

(لو أن القرآن كان من عمل « محمد » ، أو بتدبير البشر ، لما كان مما يلتفت إليه – أبداً – أن يُزكى السيدَ المسيحَ ووالدته العذراء مريم ، ويُطهرها ويرفع قدرها إلى حيث لا يكاد يُطاوِلها أحد ، وأن يعرض معجزاتها ومعجزات المسيح ، بما لم يجرؤ أتباعُه الجهرَ به ...) .

ثم يواصل الكاتب المسيحى المهتدى : « بشرى زخارى » ، أدلته على أن القرآن من عند الله ، فيقول :

(وقبل أن نختم هذا الباب ، نودّ أن نلتقط بعض الثمرات الطيبة من آراء بعض الغربيين المنصفين فى حق القرآن ، دون أن نعرض لها بالشرح أو التعليق ، فهى ذاتها فى غِنًى عن الشرح والتعليق) .

* * *

ويعرض بشرى زخارى رأى « ديبرزيه بلاشيبه » فى وصف القرآن ، فى كتابه « دراسات فى تاريخ الأديان » :

(كفى هذا القرآن مجداً وجلالا :

أن الأربعة عشر قرناً التى مرت عليه ،

لم تستطع أن تجفف أسلوبه ، بل لا يزال غضًّا ،

كأن عهده بالحيـــاة أمس !..)

* * *

HTTP://KOTOB.HAS.IT

كما يعرض « بشرى » قول « إليكس لوازون » ، إذ يقول :

(خلَّف محمد للعالم كتاباً ، هو آية البلاغة وسِجِلّ للأخلاق ! . . وهو كتاب مقدس ، وليس من المسائل العلمية المكتشفة حديثاً ، أو المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية) .

* * *

ونضيف إلى ما أورده « بشرى زخارى » من أقوال الغربيين ؛ فنختتم هذا بما أورده « فينورت » فى كتابه « محمد والقرآن » تحت عنوان (العلاقة بين العلم والدين) :

(لقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقتنعا بالأضرار الناجمة من رجال الكهنوت فى المسائل السياسية ، ومن مصالحهم الشخصية إفساد جميع الحكومات ؛ فلم يستحسن وجود مثل هذه الأمور فى ديانته ، ورغب فى أن يكون كل مسلم معه نسخة من القرآن يجعلها نصب عينيه ، لأنها القانون الواضح الذى يستطيع أن يرى فيه حقوقه وواجباته ، فالقرآن يقول إن جميع الناس على حدّ سواء عند الله . ذلك أن دين الإسلام يقول بعدم التمييز فى الجنس أو اللون ، ولا يتميز فيه الحاكم على المحكوم . وكتابٌ هذا شأنه ، هو دين الله لإسعاد البشر فى الدنيا والآخرة) .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

كيف انتشر الإسلام ؟

بعد أن نضب مَعِين المفتريات والافتراء ، على الإسلام وعلى نبيه ، وعلى كتاب الله المنزّل على « محمد » ، صلى الله عليه وسلم ، من عند الله . . وبعد أن أعيتهم الحِيَل فارتدت كل سهامهم فى نُحورهم وإلى صدورهم ، فكانت كتبهم ، وتبشيرات أنبيائهم ، وأقلام كتابهم وسجلات مؤرخيهم ، هى خير الردود وأقواها عليهم .

أخيراً لم يجدوا أمامهم إلا اللجوء إلى فِرْيَة أن « محمداً » لم ينشر دينه إلا بالسيف !.. ولم ينتبهوا إلى أول آية نزلت فى القتال :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (١) .

أى أن المسلمين بقيادة « محمد » صلى الله عليه وسلم ، كانوا مُعْتَدى عليهم من أعدائهم الذين يقاتلونهم ، أى أن الأعداء مُقاتِلون والمسلمين هم المُقاتَلون ، أى المعتدَى عليهم لا المعتدون .

إذن فقد كان قتال محمد صلى الله عليه وسلم دفاعاً عن نفسه وأتباعه حين كانوا مُدافعين ، وحين كانوا أيضاً محاربين ضد الفتنة بأمر ربهم الذى أرسل محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، وقال له :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحج : ٣٩ . (٢) سورة الأنفال : ٣٩ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إذن لم يكن تفكير الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى القتال ، إنما كان متجهاً إلى غاية واحدة عُليا ، هى كفالة حرية العقيدة والرأى ، كفالة - فى سبيلها وحدها - أُحِلّ القتال ، ودفاعاً عنها أُبِيحَ دفع المُعْتَدِى ، حتى لا يُفتن أحد عن دينه ، ولا يُظلم أحد بسبب عقيدته أو رأيه .

وهذا ما قاله المستشرق « أميل ديرمنجم » فى كتابه : « حياة محمد » : (إن محمدًا قد أبدى - فى أغلب حياته - اعتدالًا لافتاً للنظر ؛ فقد برهن - فى انتصاره النهائى - على عظمة نفسية قلّ أن يوجد مثلها فى التاريخ ؛ إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء ، والمسنين والأطفال والنساء ، وحذّرهم أن يهدموا بيتاً أو يسلبوا التجار ، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة ، وأمرهم ألا يجرّدوا السيوف إلا فى حالة الضرورة القاهرة !..

بل لقد رأيناه يقول لبعض قواده :

« إِنَّ نَفْسًا واحِدَةً : خَيْرٌ مِنْ أَكْثَرِ الْفُتُوحِ ثَراءً . »

ولنترك المجال « لكارليل » فى كتابه (عن البطولة) ليردّ على الذين قالوا : إن الإسلام انتشر بالسيف :

(لقد قيل كثير فى شأن نشر « محمد » دينه بالسيف ..

فإذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه ، فشدّ ما أخطأوا وجاروا ! فهم يقولون : ما كان الدين لينتشر لولا السيف .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ولكن ما هو الذى أوجد السيف !

إنه هو قوة هذا الدين !. فإنه حق !..

فالرأى الجديد أول ما ينشأ ، يكون فى رأس رجل واحد ، يعتقده فرد واحد دون العالم أجمع . فإذا تناول الفرد سيفاً وقامت الدنيا فى وجهه ، فإنه لا يصنع شيئاً !.. والرأى - على العموم - أن الحق ينشر نفسه بأية طريقة ، حسبما تقتضيه الحال .

أو لم تروا أن المسيحية كانت لا تأنف أن تستخدم السيف أحياناً ؟ ! وحسبكم ما فعل « شارلمان » بقبائل « السكسون » .

وأنا لا أحفل : أكان انتشار الحق باالسيف أم باللسان !

فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار ! لندعها تكافح وتجاهد بأيديها وأرجلها وأظافرها ؛ فإنها لن تهزم إلا ما كان يستحق أن يُهزم ، وليس فى طاقتها قط أن تُفنى ما هو خير منها ، بل ما هو أحط وأدنى ...)

إلى أن قال : (وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون بقلوبهم النارية ، لجدير حقاً أن يكون ، وجدير أن يصدق به .. وإن ما أودِع هذا الدين من القواعد ، لهو الشىء الوحيد الذى ينبغى للإنسان أن يؤمن به .. وهذا الشىء هو روح جميع الأديان) .

ولئن كان « كارليل » يتحدث من وجهة نظره ، فيحبّذ الوسائل التى ينتشر بها الحق - مهما تنوعت هذه الوسائل - إلا أن المتتبع

HTTP://KOTOB.HAS.IT

لحياة «محمد» صلى الله عليه وسلم، يجد أنه صلى الله عليه وسلم وضع منهاجاً سياسياً لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل، وكانت عاصمة الدولة الجديدة «يثرب» تموج بالخلافات الحادة بين قبيلتى: الأوس والخزرج العربيتين، والتى كان يُشعل اليهود أوارها كلما مالت إلى الهدوء، لينفردوا بالسلطة، وليتيسر لهم الاستغلال الاقتصادى الذى يمكنهم من السيادة والاحتكار السياسي والاقتصادى والاجتماعى، وهذه عادتهم ومبادئهم فى كل زمان ومكان على مر العصور!

ولذا كان أكبر همه صلوات الله وسلامه عليه، أن يصل بيثرب - موطنه الجديد، وعاصمة دولة الإسلام الجديدة - إلى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر أنحاء الحجاز. وقد كان أول ما انصرف إليه تفكيره، تنظيم صفوف المسلمين، وتوكيد وحدتهم؛ فآخى بين المهاجرين والأنصار إخاء حكمُه حكم إخاء الدم والنسب، وبهذه المؤاخاة زادت وحدة المسلمين توكيداً.

وبعد أن اطمأن الرسول، صلوات الله وسلامه عليه
إلى وحدة المسلمين بهذه المؤاخاة.. وهى - لا ريب -
حكمة سياسية تدل على سلامة تقدير وبعد نظر:

بدأ صلى الله عليه وسلم يعمل على تحقيق وحدة يثرب، ووضع نظامها السياسي بالاتفاق مع اليهود، على أساس متين من الحرية والتحالف، فوثّق صلاته بهم، فتحدث إلى رؤوسهم..

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وتقرّب إليه كبراؤهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة ، باعتبار أنهم أهل كتاب موجودون . وبلغ من ذلك أنه كان يصوم يوم صومهم ، وكانت قبلته فى الصلاة لا تزال إلى بيت المقدس قِبْلة أنظارهم .

كما أن سيرته ، وعظيم تواضعه ، وجميل عطفه ، وحسن وفائه ، وفيض برّه بالفقير والبائس والمحروم ، وما أورثه ذلك من قوة السلطان على أهل يثرب .. كلُّ ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد . معاهدة هى ، فى اعتقادنا ، من الوثائق السياسية الخالدة على مرّ التاريخ .

وهذا الطور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يسبقه إليه نبى أو رسول ؛ فقد كان عيسى وكان موسى عليهما السلام ، وكان من سبقهم من الأنبياء يقفون عند الدعوة الدينية ، يبلغونها للناس من طريق الجدل ، ومن طريق المعجزة المحسوسة الملموسة ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوى السلطان أن ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية ، وبالدفاع عن حرية الناس والإيمان بها ، ولو دفاعاً مسلحاً فيه الحرب والقتال !..

انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى ؛ فظلوا ومن تبعهم يُعَذَّبون ، حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين ، فآواه ونشره . وكذلك كان أمر سائر الأديان فى شرق العالم وغربه .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

فأما « محمد » فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار الحق على يديه ، وأن يكون الرسول والسياسي والمجاهد والفاتح .

كلّ ذلك في سبيل الله ، وفي سبيل كلمة الحق التي بُعِث بها . وهو قد كان في ذلك كله عظيماً ، وكان مثل الكمال الإنساني على ما يجب أن يكون !..

وانفسح المجال أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن تعاليمه ، وليكون بذاته وبتصرفاته المثل الأسمى لهذه التعاليم ، وليصبح بذلك حجر الأساس للحضارة الإسلامية .

وحجر الأساس : هذا الإخاء الإنساني ، إخاء العدل والرحمة ، ولم تكن رحمة ضعف ولا استكانة ، ولم تَشُبْها شائبة مَنٍّ ولا استعلاء ، إنما كانت إخاء في الله بين « محمد » والذين اتصلوا به جميعاً .. ومن ثم يفترق أساس الحضارة الإسلامية عن كثير من سائر الحضارات :

الإسلام يضع العدل إلى جانب الإخاء ، ويرى أن الإِخاء لا يكون إخاءً إلا به .

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ (١) ﴾ .

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢) ﴾ .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٤ (٢) سورة البقرة : ١٧٩

HTTP://KOTOB.HAS.IT

هذا الأساس الذي وضعه « محمد » للحضارة الجديدة التي يقيمها يتلخص بصورة واضحة فيما روى عن عليّ بن أبي طالب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته ..

فقال صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه :

« اَلْمَعْرِفَةُ : رَأْسُ مالِي ، والْعَقْلُ : أَصْلُ دِينِي .

والْحُبُّ : أَساسِي ، والشَّوْقُ : مَرْكَبِي ، وذِكْرُ اللهِ : أَنِيسِي ،

والثِّقَةُ : كَنْزِي ، والْحُزْنُ : رَفِيقِي ، والْعِلْمُ : سِلاحِي ،

والصَّبْرُ : رِدائِي ، والرِّضا : غَنِيمَتِي ، والْفَقْرُ : فَخْرِي ،

والزُّهْدُ : حِرْفَتِي ، والْيَقِينُ : قُوَّتِي ، والصِّدْقُ : شَفِيعِي ،

والطَّاعَةُ : حَسْبِي ، والْجِهادُ : خُلُقِي ،

وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ . »

والحقيقة أن انتشار الإسلام ، هو إيمان الإنسان به ، الإنسان الذي وجد الحرية التي كان يفتقدها لقرون طويلة ، تخبّط خلالها بين الأديان التي جعلت منه كائناً مُسَيراً ، يخضع مرة لإله الخير ، ومرة يصيبه إله الشر ، ومرة يقع في طريق إله النعمة ، وتارة في براثن إله النقمة ، فيحاسَب على ذنب غيره ، وقد عاش رهن الرضاء السامي للنجوم والكواكب وإشارة الكهنة !..

هذا في الأديان القديمة !..

HTTP://KOTOB.HAS.IT

أمّا فى اليهودية : هـل هو من ذرية يعقوب فتحوطه النعمة ، أم هو من أبناء عيسو فتشمله لعنة الله « لأن الرب يهوه إله يفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء حتى الجيل الثالث » !..

وفى المسيحية لا يزال هذا الإنسان وريث خطيئة أبيه آدم ، حتى جاء المسيح ، فصلب (فى زعمهم) ليكفر عنه الخطيئة .

كل هذا أدخل على الإنسان اليأس !..

حتى إذا ما جاء الإسلام ليعلن على الملإ :

﴿ يَوْمَ لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ،
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ :

أفاق الإنسان ، وآمن الإنسان ، ودافع ـ عن هـذه العقيدة ـ هذا الإنسان .. ومن هنا انتشر الإسلام بمبادئه التوحيدية ، والحضارية التى وضعت الإنسـان على طريق العزة والسيادة والعبادة الصريحة للواحد القهار القائل : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ ،
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ،
اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

محمد والعلوم الكونية

مما سبق يثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أمياً قد نشأ في مكة ، حيث كان بعيداً عن المحيط العلمى الذى يحيط بالعلوم الكونية ، بالإضافة إلى أن النظريات العلمية التى أشار إليها القرآن الكريم لم تكن معلومة فى عصره ، وإنما عرفت حديثاً .

وهذه الحقائق العلمية التى ذكرها القرآن الكريم ، سنتعرض لبعضها ، حسبما يسعفنا ما قرأناه واستوعبه العقل . ونترك القارئ الحكم ، ليرى : هل يعقل أن تكون هذه الآيات القرآنية من تأليف « محمد » ، أم هى تنزيل العزيز الحميد ، وحياً من عند العليم الخبير ، الذى أرسل « محمداً » - صلى الله عليه وسلم - بدين الحق نبياً ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟ !

وإلى القارئ الآيات القرآنية ، أى الحقائق العلمية التى تثبت أن القرآن من عند الله ، نزل على رسوله من الله .

١ — فى وحدة الكون ، قال تبارك وتعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلَا يُؤْمِنُونَ * ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٠

HTTP://KOTOB.HAS.IT

وتفسير الآية حقيقة علمية تقول : إن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ، ثم انفصلتا !.. وهذا ما يقوله العلم الحديث الذى قرر أن الكون كان شيئاً واحداً من الغاز ، ثم انقسم إلى سدائم .

وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات .

أما الشطر الثانى من الآية ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ فهو من أبلغ ما جاء فى القرآن الكريم فى تقرير حقيقة علمية ، أدرك العلماء سرها . فمعظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء ، وهو العنصر الأساسى لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات .

إذن فالآية الكريمة من أقوى الدلائل على صدق نبوة محمد . إذ القرآن استهل هذه الحقائق عن وحدة الكون وسر الحياة ، بمخاطبة الذين يكفرون بوجود الله ، بهذه الدلائل العلمية الدامغة التى تدل على وجوده ، والتى لم يدرك العالم فى الماضى أسرارها ، بل أدركها العلم الحديث ، بعد جهود مضنية استغرقت أجيالا فى مجالات هذا الكون ، مما يجعلنا نعيد على مسامع الملحدين والمشككين ما ختم الله به هذه الآية ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : أن القرآن تنزيل من الله تبارك وتعالى ، نزل به الروح الأمين ، على قلب « محمد » ، ليكون خاتم المنذرين .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

٢ – نشأة الكون : قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ، ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ : ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا : أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . (فصلت : ٩ — ١١)

إن العلم الحديث لم يُنشئ الرواسي ، أى الجبال الثوابت !

وإن استطاع أن يوفر للإنسان الأمن الغذائى ، فلن يستطيع أن يُقدِّر أرزاق أهل السموات والأرض والبحار ، وخاصة أن الله قدّر ذلك فى أربعة أيام من أجل المحتاجين الذين خلقهم ، والذين لا نعلم منهم إلا القليل . ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ أى قصد إيجادها ، وكانت دُخانًا . أى أن القرآن يُصرّح أن السماء كانت – فى بدء خلق الكون – دُخانًا .

وعلماء اليوم لهم تفسيرات شتى ، فالعالم الفلكى « سير جيمس جينز » يقول : (الراجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام ، وأن السّدائم : السحب أو مجموعة النجوم ، خلقت من تكاثف الغاز) .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ويقول الدكتور « جامو » أستاذ الطبيعة النظرية بجامعة واشنطن فى كتابه « الشمس » : (إن الكون - فى بدء نشأته - كان مملوءا بغاز موزع توزيعاً منتظما) .

فالقرآن صوّر مصدر خلق هذا الكون (بالدخان) وهو الشيء الذى يفهمه العرب من الأشياء الملموسة . والعلماء اليوم يصوّرون منشأ هذا الكون (بالغاز) المنتشر فى الفضاء .

أيكون فى قُدرة أُمّىٍّ - منذ أربعة عشر قرنا - أن يدرك هذا ، فى وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وخفاياه ؟

والجواب : لو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قرأَنَهُ ربُّه ، فأنزل عليه الكتاب ، وأقرأه إياه - ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، به - لما ظهرت تلك الحقائق على لسان أفصح العرب ، أو أعلم العجم !..

٣ — تحركات الشمس والقمر والأرض :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * ﴾ (١) .

---

(١) سورة يس : الآيات ٣٨ — ٤٠

HTTP://KOTOB.HAS.IT

إن العلماء أخيراً يهتدون إلى ما أقرّه القرآن الكريم من أن الشمس تجرى باتجاه معين ، أى أن الشمس تتحرك مع مجموعتها فى اتجاه كوكب نيِّر من مجموعة كوكبه الجارى ، فالمجموعة الشمسية تخضع لقوة جاذبية الشمس التى تجعلها تدور حولها فى مدارات أو مسارات بيضاوية الشكل ! ودوران الأرض أشار إليه القرآن :

﴿ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ فدوران الأرض حول نفسها ، هو الذى يسبب الليل والنهار بانتظام .

٤ — اهتزاز الأرض :

قال الله تعالى : ﴿ ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[1].

وهذه حقيقة علمية يصرّح القرآن بها ؛ فقد دلّت البحوث العلمية على أن للأرض مسامّ يتخللها الهواء !.. وأن نزول الماء على الأرض يدفع الهواء ويحلّ محله !.. وعند امتلاء مسامّ الأرض بالماء ، تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع الماء فى المسام ! . . وعلوم الكيمياء أثبتت أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف ؛ فالأرض عندما ينزل عليها الماء تتحرك وتزداد فى الحجم ! . . وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا ما أصابها الماء ، كما أمكن معرفة الزيادة فى حجمها .

---

(١) سورة الحج : آية ٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

٥ — وجود أحياء فى السماء :

ثبت من المباحث الحديثة أن على سطح المريخ وفى جوّه : حرارة وماء وأكسوجين ، وهى الشروط اللازمة للحياة ، وأن العلماء الروس والأمريكان متفقون على إمكانية وجود نوع من الحياة ! . .

وقد أذاع راديو موسكو أن العلماء السوفيت اكتشفوا دلائل جديدة تدل على وجود حيـــاة على ظهر المريخ ، واستنتج من هذا البحث أن الأحوال الطبيعية على ظهر هذا الكوكب قريبة جدًّا من الظروف المطلوبة لبقاء الإنسان حيًّا .

والقرآن يشير بوضوح إلى وجود أحياء آخرين ، غير الذين يعيشون فى كوكبنا هذا ، كما جاء فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾(١) .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾(٢) .

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٣) .

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْـــدًا ﴾(٤) . .

صدق الله العظيم ، ورسوله الأمين ، ولعل العلماء يؤمنون .

---

(١) سورة الشورى : ٢٩ (٢) سورة الإسراء : ٤٤

(٣) سورة الإسراء : ٥٥ (٤) سورة مريم : ٩٣

HTTP://KOTOB.HAS.IT

٦ — نقص الأكسوجين فى الارتفاعات :

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ،
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ،
كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ﴾[1].

فمنذ ارتياد الطبقات الجوية العليا ـ بفضل الطيران والبالونات ـ استطعنا أن ندرك ظاهرة طبيعية تنتج عن نقص الأكسوجين فى الهواء فى تلك الطبقات ؛ إذ يشعر الصاعد فى هذا العلوّ بصعوبة فى التنفس ، ويحسّ بالضيق .. وهذا يسجل أن الآية الكريمة سبقت العلم الحديث فى تقرير الواقع العلمى الصحيح ! . .

هذه أمثلة يعلمها الذين عضّ الحقد قلوبهم ، وأعمى أبصارهم ، وأصمّ آذانهم عن الحقائق الماثلة ، والتى يقيم الله تبارك وتعالى على صحتها الدليل تِلو الدليل .

وصدق الله العظيم ، القائل فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ﴾[2] .

(١) سورة الأنعام : ١٢٥ (٢) سورة البقرة : ٦ و ٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

الخاتمـــة

مبـــادئ الإسلام

إن مبادئ الإسـلام السمحة تُخرس ألسنة الذين يريدون أن يخوضوا فى دين الله ، ليقللوا من عظمة الرسالة المحمدية التى أرسل الله رسوله ﷺ بها . ألا وهى دين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ليحقّ به الحق ، ويُبطل الباطل ، ولو كره الكافرون .

إن هذه المبـادئ الأساسية فى الإسلام ، وأغراضها العامة الرئيسية ، لا زالت تحتفظ ـ وستظل تحتفظ ـ بحيويتها وحيـدتها إلى الأبد ، فهى من العموم والمرونة بحيث يمكنها أن تُواجه وتُطابق أية معلومات ، أو أية تغييرات تطرأ على أنظمة البشر وعلاقاتهم .

ويمكن تلخيص هذه المبادئ والأهداف فى النقاط التالية :

أولا : توكيد عقيدة إبراهيم ، الذى اعتبر أول الحُنفاء ، وأول المسلمين ، وإلى هذه العقيدة يُمكننا إرجاع الأصول الفكرية لليهودية والمسيحية والإسلام .

وفى هذا يقول الحقّ تبارك وتعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ، وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ٦٧

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ثانياً : الاعتراف بجميع الأنبياء السابقين ، الذين دعوا أقوامهم إلى الإيمان ، واتباع الطريق المستقيم :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ،
كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ،
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ، وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

ثالثاً : تبسيط وتنقية وتوحيد جميع الأديان السابقة ، بتخليصها من الانحرافات والشوائب الدخيلة :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾(٢) .

رابعاً : الإسلام دين عالمي للإنسانية جميعاً :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ :
إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ،
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ (٢) سورة المائدة : ٧٣
(٣) « الأعراف : ١٥٨ (٤) « سبأ : ٢٨

HTTP://KOTOB.HAS.IT

خامساً : الإســـلام لا يستمد تسميته من جنس كاليهود ، أو من نبي كالمسيحية ! . .

ولكن اسمه يعبر عن جوهره وفكرته الأساسية كعقيدة . . ألا وهى : التسليم لإرادة الله وهدايته ، والدعوة إلى السلام العالمى ، وعدم الاستسلام للمعتدين :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾(١) .

سادساً : العلاقة بين الله والإنسان مباشرة . . ومن شأن مثل هذه العلاقة ألا تفسح مجالا لظهور الوساطة أو الكهانة ، التى تضع الأغلال فى عُنُق الإنسان :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٢) .

---

(١) سورة الفتح : ٢٩ (٢) سورة الإسراء : ١٣ ــ ١٥

HTTP://KOTOB.HAS.IT

والإسلام لم يمتهن كرامة الإنسان ، ولم يجعل أحداً مهيمناً عليه ، فيقول لتابعه : اتبعنى ، دون تفكير .

إنما جعل الإنسان حرًّا لا ينحنى أمام الضغوط الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، لا يعرف غير واجبه نحو ربه :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

سابعاً : المغفرة من الله وحده . يلجأ إليه المذنب ، بدون واسطة تقلل من إنسانيته وكرامته .. وفى هذا يقول الحقُّ تبارك وتعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ،
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾

(سورة الشورى : ٢٥)

ثامناً : يشجع الإســلام على العمل والإنتاج ، ويجعل السعى والبناء جزءاً من العبادة ، وركناً من التعبد ، ويشجب التواكل والعزلة والرهبنة بحجة العبادة . قال الحقّ تبارك وتعالى :

﴿ ... وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ . (سورة الحديد : ٢٧)

HTTP://KOTOB.HAS.IT

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ، لِنَبْلُوَهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

(سورة الكهف : ٧)

تاسعاً : لقد نمّى الإسلام وطوّر العنصر الخلقى للدين ، مضيفاً الكثير إلى وصايا موسى العشر ، وتناول لأول مرة دقائق التصرف الحسن وآداب السلوك ولمحات الذوق العام . . إلى جانب المبادئ الخلقية الأساسية ، مما لا يتسع له هذا المقام . والذى يُغنى عن التوسع ، قول رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّما بُعِثْتُ ، لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ . »

عاشراً : أرسى الإسلام القواعد الأساسية لمجتمع إنسانى سليم . وقد غطت هذه القواعد جميع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدولية لحياة البشر . فهو لم يكن الدين الإسلامى فحسب ، بل أنشأ المجتمع والدولة الإسلامية والعالمية .

حادى عشر : لم يعتمد الإسلام على المعجزات كوسيلة للإقناع ؛ بل اعتمد أساساً على جوهره ، وعلى إقرار الحرية والاختيار :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

HTTP://KOTOB.HAS.IT

ثانى عشر : استحدث الإســلام مبدأ التفاهم المتبادل بين جميع الشعوب والدول ، ودعا بإخلاص إلى السلام العالمى والصداقة . حتى ليمكن إرجاع الأصول الفكرية لنظرية التعايش السلمى ـ التي أدخلت حديثاً فى السياسة الدولية ـ إلى المبادئ الدولية العامة للإسلام .

تلك هى المبادئ والأغراض الأساسية للإسلام ، التى لم نستطع حصرها فى هذا المكان الضيق .

ولأنها تعطى فى مجموعها فكرة واضحة عن مدى عمق وشمول هذا الدين الذى توّج الأديان كلها ؛ رأينا أن نفرد لها كتاباً : (مبادئ الإسلام) إن شاء الله ؛ لأن الإسلام ختم بذلك الرسالات المقدسة للأنبياء ، ولم تكن الرسالات السابقة إلا مراحل متتابعة فى الطريق إلى الكمال !..

* وما إن أتم الله بالنبي « محمد » ورسالته آخر مراحل الطريق ؛ حتى أنزل الله تبارك وتعالى عليه الآية الكريمة :

﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ،
وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ،
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

(سورة المائدة : ٣)

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه

HTTP://KOTOB.HAS.IT

محتويات الكتاب

HTTP://KOTOB.HAS.IT

مصادر الكتاب

اسم المصدر	المؤلف
القرآن الكريم	
السيرة النبوية	ابن هشام
العهد القديم	
العهد الجديد	
محمد رسول الله : هكذا بشرت به الأناجيل	بشرى زخارى
يهود يثرب	جاكوئيل رابيم
الأبطال	توماس كارليل
المسيح فى وضوح	لودفج
ترجمة معانى القرآن	سيبل
الديانات الشرقية	جونسون
حياة محمد	سير موريس (الفرنسى)
حياة محمد	الورد هيدلى
تعليقاتى على تواريخ الأديان	أرنست رينان
حياة محمد	هـ . ج . ويلز
حياة محمد	أميل دير منجم
حكم النبى محمد	تولستوى
عظمة محمد	فيلبس جيبس

HTTP://KOTOB.HAS...T

المؤلف	اسم المصدر
المؤلف الغربى جوته : الأديب الألمانى	الديوان الشرقى ..
جيبون	الرسالات الإنسانية والقانون
فينورت	محمد والقرآن
	مجلات النور السورية ، و « لابار فرنسيز » الفرنسية .
المؤلف	الأديان فى كفة الميزان
المؤلف	سِرّ إيمانى

« صدر للمؤلف »

١ — الأديان فى كفة الميزان .

٢ — سِرُّ إيمانى .

٣ — فى رحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ — اليهود فى الكتب المقدسة .

٥ — الرهبانية والتصوف .

« تحت الطبع »

١ — يا بُنَىَّ .
٢ — مبادئ الإسلام .

٣ — الإسلام إطار الفن الرفيع .

٤ — محمد صلى الله عليه وسلم : فى كتب الغرب .

٥ — الإنسان فى الأديان .

HTTP://KOTOB.HAS.IT